جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد الواحد والتسعين/ السنة الثانية والخمسون

جمادى الثانية – ١٤٤٤هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢٢/١٢/٢٩م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلميَّة الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانيَّة

باللغة العربيَّة واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد الواحد والتسعين السنة: الثانية والخمسون/ جمادى الثانية – ١٤٤٤هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب (علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق

الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي (اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

الأُستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

الأُستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة (اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن

الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني (التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق

الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار (التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية

الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد (الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر

الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو (اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا

الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة

الأُستاذ الدكتور كلود فينثز (اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا

الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز (الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة

الأُستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم (الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوّم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أحمـــــد محمود – مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعـــــــة:

مترجم.إيمان جرجيس أمين – إدارة المتابعـــــة

مترجم.نجلاء أحمد حسين – إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
صور إضافة الظرف (مع) إلى ضمير المُخاطب ودلالاتها في القرآن الكريم أحمد عبدالستار فاضل و فراس عبدالعزيز عبدالقادر	30-1
الآخر محاربًا في شعر ابن الدَّهان الموصليّ (ت581هـ) عجيل مد الله أَحمد و مقداد خليل قاسم	80 -31
الطَّيفُ في شعرِ ابنِ نُباتةَ المَصريّ فارس ياسين محمد الحمداني	102 -81
اعتراضات نُقْرَه كار (ت776هـ) الصرفيَّة في شرح شافية ابن الحاجب (646هـ) هلال علي محمود	132 -103
الشخصية الإشكالية ومستويات وعيها في عالم (متاهات) برهان شاوي الروائي نورا وريا عزالدين و شادان جميل عباس	172 -133
الزمن السّردي في قصص جابر خليفة جابر يونس جاسم محمد سالم و بسام خلف سليمان	198 -173
الصورة المشهديَّة: الثابتة والمتحرِّكة في شعر حسب الشيخ جعفر ملكة عصام ياسين	219 -199
التوكيد بوصفه عارضًا نحويًّا في الحديث النبوي الشريف حديث: "إِنَّما الأَعمالُ بالنيَّات" أُنموذجًا مصعب إسماعيل عمر و ثامر عبدالجبّار نصيّف	244 -220
أَنماطُ الحالِ ودلالاتُها في معلَّقةِ طرفة بن العبد إسماعيل حميد حمد أَمين و مظفر الدين عثمان حمد صالح	265 -245
دلالة الأَفعال المقيَّدة بحرف الجر في قصيدة مديح الظل العالي لمحمود درويش إسراء غانم أَحمد	301 -266
الارتداد الزمني في رواية ظلال الوأد لـ(منيرة السبيعي) سروى صباح رجب	329 -302
تنوع الدلالات في نماذج مختارة من شعر الهذليين أَحمد يعقوب الجبوري	352 -330
ميميَّة حسَّان بن ثابت ألم تسأل الدار "دراسة تحليليَّة نقديَّة" وضَّاح حسن خضر حسن	372 -353
الصورة بوصفها إدانة للواقع في رواية (العراق سينما) لأَحمد إبراهيم السعد ليث طالب ذنون	386 -373
المعرب على أَكثر من ثلاثة أَوجه من المصدر المعرفة المنصوب المحذوف فعله في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي شذى محمد مصطفى رشيد	405 -387
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
العلاقات الاقتصاديَّة التركيَّة الليبيَّة 1989-2011م صبا طلال عمر طلال و محمد علي محمد عفين	420 -406
مُعلِّمو السلاطين العثمانيين الشيخ آق شمس الدين أُنموذجًا (1389-1459م) دراسة تاريخيَّة أَمين غانم محمد و عماد عبدالعزيز يوسف	455 -421
انتفاضة علي باشا جان بولاد في ولاية حلب 1605-1607م أَحمد محمد نوري أَحمد العالم	489 -456
كتابُ "تاريخ مدينة السلام" ومؤلِّفه الخطيب البغدادي حميدي خضير جمعة	508 -490

بحوث علم الاجتماع	
منظمات المجتمع المدني ودورها في الاستقرار السياسي دراسة تحليليَّة في علم الاجتماع السياسي إيمان حماديّ رجب و حسن راشد جاسم	509 - 535
عزوف التلاميذ والطلبة عن التسجيل للدراسة التركمانيَّة في محافظة نينوى (الأَسباب- النتائج- الحلول) عدنان حازم عبد أَحمد	536- 570
بحوث الفلسفة	
فلسفة أَفلاطون على نظريَّة الفارابي السياسيَّة (دراسة تحليليَّة مقارنة) ليلى يونس صالح	571- 601
بحوث الشريعة والتربية الإسلاميَّة	
خصائص النبي (ﷺ) في الآيتين (157_158) من سورة الأَعراف -دراسة تحليليَّة تفسيريَّة- نغم قاسم أحمد الأَرمني و رائد سالم شريف	602- 621
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
المكتبة العامة المركزية في الموصل: دراسة في واقعها ومقترحات تطويرها وسن سامي سعدالله	622- 649
بناء نظام خبير لتصنيف الرسائل والأَطاريح الجامعيَّة باستخدام خوارزميَّة (Naïve Bayes): دراسة تجريبيَّة إيناس جاسم هادي	650- 689
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
اتجاه طلبة الجامعة نحو التعليم الإلكتروني وعلاقته بالتنظيم الذاتي الأَكاديمي عدي نعمت بطرس عجاج	690- 737
صعوبات تدريس مادة الفيزياء في المرحلة الثانوية من وجهة نظر مدرسي الفيزياء في مدينة الموصل طارق موفق سحري	738- 776
بحوث القانون	
أثر حالة الضرورة لارتكاب الجريمة في المسؤولية في الشريعة الإسلاميَّة والقانون العراقي شيروان عمر رسول و عادل عبدالله حمد	777-817

CC BY

الآخر محاربًا في شعر ابن الدَّهان الموصليّ (ت581هـ)

عجيل مد الله أَحمد * و مقداد خليل قاسم **

تأريخ التقديم: 2022/6/12 تأريخ القبول: 2022/7/6

المستخلص:

يدرس البحث الآخر المحارب في شعر" ابن الدهان الموصلي(ت581ه)"[1]، وقد تنوعت صوره، وتداخلت في موقفٍ تتجسد فيه معالم البطولة والبذل والايثار في عصر شهد اضطرابات سياسية وحروب متتالية؛ إثر حملات عسكرية متكررة تستهدف الارضَ وأهلها دوّنها شعرًا ؛ فكانت صورة المحارب بتفاصيلها ومكوناتها ناقلًا حيًّا للواقع الحربي ومؤدياته المتكررة؛ ببنى شعرية هيمنت عليها المدارك الحسية البصرية والسمعية، وتألف البحث من مطلبين الأول: الآخر محاربًا بالصفة الفردية(البطولة ونفوذ الرأي)، وفيه تعداد لمآثر البطولة الحربية الفردية من إغاثة، وبطش بالآخر العدو، والمطلب الثاني: الآخر محاربًا بالصفة الجمعية (طرفا القوة والانكسار)، وفيه رسخت البنى الشعرية الإقدام والبطولة، وتفاصيلهما في الآخر بصيغة الجمع لطرفين متقابلين مدافع ومعتدٍ.

الكلمات المفتاحية: شعر، الآخر المحارب ، القوة ، الانكسار، الصورة الحربية ، العدو الصليبي.

---

* طالب ماجستير/قسم اللغة العربيَّة/ كلية الآداب/جامعة الموصل.

** أُستاذ/ قسم اللغة العربيَّة/ كلية الآداب/جامعة الموصل.

(1) أبو الفرج عبدالله بن أسعد بن عيسى بن علي بن الدهان الموصلي، الفقيه الشافعي الأديب (ت581ه)، شاعر من الأدباء والفقهاء ولد في الموصل موطنه الأصلي وأقام مدة بمصر، وانتقل بعدها إلى الشام (حمص)، يعد من خيرة شعراء العصر الأيوبي الذي توالت فيه الحروب, وكثرت فيه الفتن, فكان شعره انموذجًا متميزًا للقرن السادس الهجري، ينظر: معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت626ه)، المحقق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414ه-1993م: 1509/4.

توطئة:

تسجل قصائد الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي حضورًا شعريًا مستفيضًا للآخر/ المحارب بشكل يتوافق مع جذوة أدائه في الحرب ضد الصليبيين حتى بداية العصر الأيوبي؛ إذ إن الشَّاعر جزءٌ من الحالة السياسيَّة، وما فيها من وضع تعبويّ حربي، ونجده في نصوص كثيرة متماهيًا مع الحالة الحربية الدفاعيَّة المتكررة المفروضة والمتجددة في الواقع منفعلًا بتفاصيلها؛ لأن "الصراع هو المظهر الذي تتخذه علاقتنا بالغير، فإن ما يجري على ذاتي يجري على الغير، وكما أحاول أن أسيطر على الغير أو أتحرر من رقته، كذلك يحاول الغير أن يسيطر عليّ أو أن يتحرر من قبضتي؛ فالصراع بينهما في حركة من الشد والجذب لا تنقطع "[1] بما يجسد طرفي الثنائية في الإطار السياسي والصراع والحرب، وقد نال الآخر المحارب ثناء الشاعر وإعجابه؛ بحكم اتحاد المصير، وتناغم الشعور الجمعي بالخطر الذي أوجب القيام "بسرد ما أوقعه بالأعداء: من قتلهم وإهلاكهم، وأسرهم... وسلب أموالهم، وإخضاعهم تحت سيطرته، وإذعانهم له "[2]، وهي أفعال تقرٌّ بتنافس طرفين متخاصمين، وتحدد في الوقت نفسه وجود آخرين متضادين في الاتجاه والسلوك والأهداف؛ وبذلك تتحقق صورة الآخر بطرفيه المتقابلين في النَّص الشعري، وتتماهى الأنا الشِّعريَّة مع طرف هو الآخر/ المحارب الممدوح، وتتخذ في الوقت ذاته موقفًا معاديًا من الطرف الثاني الآخر/ العدو.

ويجتمع الآخران في نص واحد وسياق متصل تتبلور فيه الصور الحربية بأخيلتها، ورؤاها على وفق منطلقات واقعيَّة تتبناها الرؤية الشِّعريَّة التي تستنهض البطولة، والثبات في المعركة، وتؤازر المحاربين المدافعين عن الأرض، وإن مفهوم الآخر/ المحارب/ العدو "يبدو أكثر تحديدًا؛ فنعني

---

(1) الغير في فلسفة سارتر، فؤاد كامل، دار المعارف ، مصر(د. ط)، (د. ت) : 58.

(2) شعر الحرب في العصر الجاهلي، د. علي الجندي، دار المكتبة الجامعية العربية، بيروت، ط3، 1966م : 301.

بـــه: الأجنبـــي المضـــاد للـــذات العربيـــة، والـــذي فرضـــت الظـــروف السياســـيَّة والاجتماعيَّـــة، والجغرافيَّـــة، والحضـــارية أن يكـــون هنـــاك اتصـــال، وتمـــاس وعلاقات وجوار بين الطرفين "[1]. فضلًا عن صراعات تتجدد بينهما.

وقد نقل الشَّاعر الصور الحربية من الواقـع نقلًـا شـعريًّا حيِّـا مباشـرًا؛ إذ تؤدي تفاصـيلها اللُّغـة الشِّـعريَّة؛ للتركيـز علـى قيمـة الآخـر/ المحـارب/ الممدوح، "وأفضل ما مدح به القائد الجـود والشـجاعة، ومـا تفـرع منهـا مثـل الإفراط في النجدة وسرعة البطش "[2]؛ وانعكست الحـرب التـي خاضـها الآخـر/ المحارب على نتاج شعراء العصـر الأيـوبي، ومـا سـبقه مـن حـروب صـليبية نالت عنايتهم واستغرقت مساحة كبيرة مـن تجـاربهم؛ إذ حـرص الشَّـاعر علـى إبراز صورة الآخر/المحارب بلغـة شـعريَّة تنطلـق مـن الواقـع، وتغـادره إلـى مديات أبعد من التَّخييل؛ إذ "يسـهم فـي تشـكيل الصـورة مجموعـة مـن القـيم والأفكار التي نؤمن بها "[3] من إقـدام فـي الحـرب، وبـأس فـي صـد العـدوان تصـوره تصـويرًا شـعريًّا مجسـدًا بالمعـاني والبنـى والأخيلـة؛ لأن الآخـر/ المحارب الممـدوح يسـعى إلـى حمايـة الأرض شـجاعٌ لا يخـاف المـوت، وذو مروءة، مقدام في ميادين الوغى يصـوره الشَّـاعر بـأبهى الصـور التـي تتجلـى فيه مشيدًا بدفاعهِ ودفعه الخطر وردِّه، وهو أمر يتطلب قائدًا حازمًا فطنًا.

ويكون الآخر المحارب بـالمفرد والجماعـة وغالبًـا مـا تـأتي تفاصـيله باستقصاء طرفين متحاربين أحدهما مدافع والآخـر متعـدٍ، و "لـم تكـن البطولـة، مهما كانت بواعثها، غائبـة.... لكنـه أحسـن اسـتغلالها، وتوجيههـا فهـذبها لا ليهدئها بل ليؤججها أكثر لكـن ضـمن قـيم أبعـدت مـن الصـراع... مـن أجـل

(1) صورة الآخر في الشعر العربي، د. فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، الشاطبي، الأسكندرية، مصر،(د. ط)، 2010م: 1.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، 1963م: 371.

(3) صورة الآخر في التراث العربي، د. ماجدة حمود، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010م:9.

الاستيلاء والقتل تحقيقًا لمآرب القبيلة القوية؛ لتصبح تجسيدًا لقيم الإيمان "[1]؛ فيسعى الآخر المحارب لإحقاق الحق، وردِّ الاعتداء بما يكوّن مادة شعريَّة أفاض الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي في سرد مواقفها وجزئياتها.

أولًا: الآخر محاربًا بالصفة الفردية(البطولة ونفوذ الرأي):

تتجلى صورة الآخر المحارب بالصفة الفردية تبيانًا لشدة البأس وعظيم القدرة والقوة في الحرب مما يجعل من الآخر الفرد بطلًا جمعيًّا تعول على وجوده الحربي؛ الجماعة التي يرتبط أمنها به، ويظهر ذلك في شخصية "الناصر صلاح الدين الأيوبي (ت589ه)" [□] الذي امتلك مقومات النصر التي تركت أثرًا في الواقع الشعري في العصر الأيوبي؛ فكانت مثالًا للمحارب القوي الصابر الذي لا يُهزم أمام الآخر/ المحارب/ العدو؛ إذ يقول[3]: (بحر الكامل)

1- وَإذا تَمَـرّ[4] قَـال لـلأرْضِ بالصَّـاهِلات وللجّبـالِ تَزعْزعـي

---

(1) البطل في شعر الحروب الصليبية, أ. د. عاصم عبد دواح، دار الفراهيدي، العراق، بغداد، ط1، 2010م : 55.

(2) صلاح الدين الأيوبي (ت589ه) يوسف بن أيوب بن شاذي (أبو المظفر صلاح الدين الايوبي) الملقب بالملك الناصر، من اشهر ملوك الإسلام وكان ابوه وأهله من قرية دوين وهم بطن من بطون الروية، ولد في تكريت نشأ في دمشق وتأدب وروى الحديث، ينظر: الاعلام، خير الدين الزركلي (ت1396ه)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م: 220/8.

(2) ديوان ابن الدهان الموصلي، أبو الفرج مهذب الدين عبدالله بن اسعد الموصلي (ت581ه)، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1339ه-1968م: 30-31.

(3) تنمر: تنكر وتغير وأصبح كالنمر؛ لان النمر لا تلقاه ابدًا الا متنكرًا غضبان، ينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، (ت711ه)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه: 235/5.

2- وَإذَا عَلا في المجْدَ أَعْـلا غايَـةٍ قالَـتْ لَـه الهِمَـمُ الجّسَـامُ تَرفَّـعِ

3- ثَبْـتُ الجَنَـانِ إذا القُلُـوب في الرَّوْع يَعْـدل أَلـف أَلـف مُـدرَّع

4- فَضَلَ الورَى بِفَضائِلٍ لَـم تَتّفِـقْ فِـي غيْـرِهِ مَلِكًـا ولَـمْ تَتَجمـعِ

5- مَا رَامَ صَعْبَ المُرتَقَـى مُتَباعِـدًا إلّـا وكَـان عَليـه سَـهْلَ المطْلَـعِ

يصور الشَّاعر قوة الآخر/ المحارب بالصفة الفردية متجسدة بصلاح الـدين الأيوبي، وهيبته الكبيرة محاربًا؛ إذ ابتدأ الأبيات بالشرط المتحقق بـ(إذا) دلالة علـى تنوع أحواله سلمًا وحربًا؛ فهو على الآخر/ العدو نمرٌ غاضب، وهي صـورة تـتلاءم مع موقفه محاربًا؛ فجاءت الصورة الشِّعريَّة؛ لتعبر تعبيرًا دقيقًا عن البطولة والإقدام؛ إذ ترتجف الأرض بالصَّواهل، وهي خيل الحرب دلالة على انـدفاع المحـاربين مـن جيشه – الذي تزعزع قوته الجبال الراسيات (الراسيات تزعزعي) تشخيص وكنايـة عن شدة البأس التي تجعل الجبال ترتجف تحت أقدامه وأقـدامهم، وتتحـرك تحركًـا شديدًا اضطرابًا وخوفًا، أو كلما علا في المجد يطلب غاية النصـر المنشـودة علـى الآخر/ المحارب/العدو؛ فالشَّاعر يخاطب الآخر/المحارب بلغـة منفعلـة تثيـر فيـه الحماس، وتذكي في نفسه روح البطولة دالًا على مكانته، ودوره في تحقيق النصـر، ولم يرتجف قلبه يومًا خوفًا.

وأما أعداؤه فهم في روع وخوف، وذهول بادٍ على الدوام، ويقابل وهو فردٌ ألف ألف فارس من الشجعان بمبالغة شعريَّة "فقد أشاد بالدّور الذي اضطلع به الملـك الناصر في قيادة حركة الجهاد، واستصفى له الصفات المثلى، التي يمكن أن يحظـى بها قائد العسكريّ، وصوّره حائزًا كلّ فضيلة، وكل عنصر من مكارم الأخـلاق؛ فهـو شجاع حازم، متيقظ، حسن الرّأي والتَّدبير خبير بفنون الحرب مخوف مهيب، جـواد على أعدائه بالضربات المسددة، سخيّ على اتباعه بالعطاء الـوفير "[1]؛ إذ اجتمعـت فيه فضائل لم تجتمع في غيره من الملوك من (شجاعة وحكمة وجود)، ويروم وصل

(1) شعراء شاميون في العصر الأيوبي، د. شفيق محمد عبدالرحمن الرقب، دار يافا العلمية، عمان، الأردن، ط 1، 2009م: 34.

العلا والمرتقى الصعب الذي لم ينشده غيره، وهي صورٌ تجسِّدت في المحارب الأيوبي الذي نال إعجاب الشَّاعر.

وقد اتصفت معانيه بالصدق وعاطفة الانتماء؛ لواقعيَّة الحدث وهدفه، وباعث ضرورة الإطراء في الواقع الذي احتدمت فيه الحروب؛ وتعالت أصوات المحاربين فـ "التَّرابط الجدلي بين الأنا والآخر محور رئيس في الإبداع الشعري، فالوعي بالأنا لا يتحقق إلّا بوجود الآخر "[1]، والتَّواصل معه عبر البنية الشِّعريَّة، وتنوع الصور التي تتوافق فيها الأنا مع الآخر المحارب من "صورة النمر يفترس الطرائد؛ للدلالة على بسالته وقوته، وصورة الفارس البطل الذي يخوض المعارك بحنكة ومهارة، وصورة القائد الذي يستبسل في الدفاع عن الأرض، وصورة المروءة في إغاثة المسلمين في الشام ومصر من بطش الصليبيين"[2]، بوعي آني راسخ بضرورة الاندماج مع الحدث الحربي شعريًّا.

وتظهر قصائد الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي بتأثير سياقها أنَّ الآخر المحارب /الممدوح لا يتعامل بـ "غير لغة الدم التي يخدم بها وطنه بالذات؛ لأنه ينظر إلى قضيته على أنها قضية مصيرية وأي سلام فهو تهديد "[3] له، وللذات الشِّعريَّة، وتستوعب البنية الضدية في (البيت الأخير) شخصية الآخر المحارب بالصفة الفرديَّة، بدلالتها على عموم حالهِ بالفعل (رامَ)، وقصديته التي تجعل المرتقى الصعب سهل المطلع والمنال.

5- مَا رَامَ صَعْبَ المُرتَقَى مُتَباعِدًا إلّا وكَان عَليه سَهْلَ المطْلَعِ

(1) جدلية العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" في شعر ابن حمديس الصقلي, م. د. بشار نديم احمد الباججي، (بحث منشور), مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل، ، مجلد16، ع3، 2020م: 229.

(2) صورة صلاح الدين الأيوبي في شعر ابن الدهان الموصلي (ت581ه), د. جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي، (بحث منشور)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ع75، 1440ه-2018م: 250

(3)صورة الآخر في قصص سناء الشعلان (دراسة تحليلية), سناء جبار عبودي، الأمل الجديدة، دمشق، سورية، ط1، 2018م: 240.

ورسم الشَّاعر صورًا شعريَّة للآخر المحارب – بالصفة الفردية – "ناصر الدين محمد بن شيركوه (ت581ه) "(1) من موارد واقعيَّة، ونصية متعددة أظهرت ثباته بوصفه قائدًا جسورًا حامي الديار، ومزعزع كيان الآخر/ العدو/ المحارب؛ إذ يقول(2): (بحر الكامل)

1–حَاميْتَ يَومَ حماةَ غيرَ مُفَنّدٍ (3) وحَمَلْتَ عِبْءَ الحربِ وهُو ثَقيلُ

2–وكَررْتَ يَومَ التَّلَ (4) حتَّى لَم إلّا أسَير منُهمُ وقَتِيْلُ

3– فمُجَدَّلٌ يَسْعى إليهِ أجْدَلٌ (5) أوْ هَاربٌ طَارَتْ إليه خُيُولُ

4– مَاضٍ وَقد نَبَتِ السُيوفُ ثَبْتٌ عَلى أَنَّ المَقَامَ مَهُولُ

يكشف الشَّاعر عن قيم حربية تصور شجاعة الآخر المحارب (ناصر الدين محمد بن شيركوه) ، ويعلن عن تفاصيل الحرب التي يقودها؛ ليحمي الديار من بطش الآخر العدو بذكر شجاعته، وتحمله الأعباء الثقال؛ فهو حامي الأرض قوي الإرادة، والجسم يتحمل الأعباء التي ينوء بها غيره برأي وبأس حاضرين، وانقضاضه على الآخر العدو.

ولم تقتصر براعته في الحرب على (يوم حماة) بل يكررها في يوم

(1) ناصر الدين محمد بن شيركوه (ت581ه)، أبو عبدالله الملك القاهر الأيوبي، صاحب حمص، من ملوك الدولة الأيوبية، وهو ابن عم السلطان صلاح الدين، كان فارسًا شجاعًا، مات عيد الأضحى بحمص، ينظر: الأعلام :160/6

(2) الديوان: 91.

(3) مفند: ضعيف الرأي والجسم معًا، ينظر: لسان العرب: 338/3.

(4) تل السلطان : موضع بيه وبين رحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل، وهو المعروف بالفندق، وكانت به وقعة صلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل سنة (ت571ه) في العاشر من شوال، ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي أبو عبدالله، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت): 42/2.

(5) أجدل: الصقر، ينظر: لسان العرب: 14/4.

التل (تل السلطان)؛ فقسَّم الآخر/ العدو على أربعة أقسام (أسير وقتيل- أو مجدل أو هارب)؛ فاستوفى أحوال الغزاة في المعركة؛ إذ ينقض عليهم انقضاض الصقر على فريسته، أو يكون هاربًا طريدًا متأملا البقاء ينشد النجاة تطير إليه الخيول بسرعتها التَّي تشبه الطير حركة وخفة وجريًا، وكأنها تحلق "وأفضل ما مدح به القائد الجود والشجاعة... والإفراط في النجدة وسرعة البطش، وما شاكل ذلك "[1]، ويأتي تعداد شمائل الآخر/ المحارب بصور تدل على براعة الشَّاعر، وعلو موهبته بذكر "الحماية، ولأخذ بالثأر، والدفاع عن الجار، والنكاية في العدو، وقتل الاقران والمهابة... وهو من أقسام الشجاعة "[2]، فهذه الأوصاف، والمعاني رسمها الشَّاعر، وقد غرست له مهابة فيها استقراء لأدائه في الحرب، وأظهرت في الوقت نفسه استبساله من أجل الظفر، وتحقيق النصر.

وأما الجناس الناقص في لفظتي (أجدل- مجدل)؛ فقد دلّ على حركية الصورة مع توافق في الإيقاع، والجرس الموسيقي المؤثر المتناغم مع إيقاع الحرب؛ فـ "الأنا مكّون للآخر، ومدركٌ له، والأنا متداعيَّة في نزعتها الفردية، وقويّة متماسكة بحضورها القوي، وانفتاحها على الآخر... والآخر متداعٍ، ومتهالك في نزعته الفردية المنعزلة... والأنا متفاعل مع غيره من الضمائر الأخرى، غير مستغنٍ عنها يحتاجها وتحتاجه وهي غير حاضرة إلّا بحضوره "[3]؛ فالآخر المحارب ماض في نصره، وأيامه متكررة؛ شجاعته وإقدامًا ، وثباتًا ولم تزعزع قلبه كثرة الأعداء عددًا وعدة، وتوالي غاراتهم، وصعوبة الموقف وشدته، والمقام المرعب؛ "فقد حفل شعر هذه

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت463ه)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1401ه-1981م: 135/2.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:132/2

(3) التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر, د أحمد ياسين السليماني، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009م : 107- 108.

الحقبة بتسجيل الكثير من المعارك التي خاضها هذا الجيش الشجاع واصفًا أبطاله ومعنوياتهم، كذلك صولاته وسطوته على عدوه، فهو جيش عرمرم "[1]، وقد دلت الأفعال الماضية (حاميت- حملت – نبت- ثبت) على تنوع المواقف، وتعدادها عند الآخر/ المحارب الماضية والحاضرة، وصنيعة في الآخر/ العدو الذي يتلقى الهزائم المتتالية التي جسدها الشَّاعر ورسم معالمها.

وربط الشَّاعر بين شجاعة الآخر/ المحارب ناصر الدين بن أسد الدين، وكرمه ورسخ صفاته الفردية ببنى شعريَّة تقوم على السرد في انضاج الصورة وإكمالها؛ إذ يقول[2]: (بحر الكامل)

1-لَيثٌ إذا لَاقَى الأَعَادي مُشْبِلٌ غَيثٌ إذا لَاقَاهُ عَافٍ مُسْبِلُ

2- والنَّسْرُ يَتْبعُ جَيْشَه والأجْدَلُ عِلْمًا بِأنَ عَدوّهُ سَيُجَدّلُ

3- ولَه إذا ما الغيْثُ خَصَّ (بسيْبه) فَضلٌ يَعمُّ بِه البِلادَ ومُفْضِلُ [3]

شَّكلت الصور الشِّعريَّة للآخر/ المحارب مصدر ثراء وحضور في النص؛ فربط الشجاعة بالكرم، وهما صفتان اقترنتا بتلازم سلوكي، وتداخل واقعي وشعري في شخصيته؛ فهو كالليث المشبل في قتاله، وكالغيث بجوده وكرمه إذا لقيه العافي وابن السبيل؛ فاتخذ الشَّاعر "التشبيه عنصرًا فاعلًا في جلاءِ المعنى الشعري، وتقريبه من الذهن... ارتباط بين طرفين – متقاربين من جهة ومتنافرين من جهة أخرى "[4]، وقد ترك الجناس الناقص أثرًا كبيرًا في النَّص وإيقاعه بتناغم مخارج الحروف، وإبراز صورة الآخر/المحارب

(1) البطل في شعر الحروب الصليبية: 192.

(2) الديوان: 185-186.

(3) بسيب: السيب العطاء، ينظر: لسان العرب: 477/1.

(4) شعراء عراقيون في العصر الوسيط (قراءات نقديّة في الصُّورة والمشهد), د. مقداد خليل قاسم الخاتوني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2022م:21.

(ليث- غيث) و(مسبل- مشبل)؛ فكونت صورة نسقية بين تشكيلتين، وحالين هما: (الحرب- الكرم) حتَّى أن َّالذي لا يعقل (النسر)، وغيره من الجوارح تتبع جيش الآخر؛ لعلمها وتيقنها بأن عدوه سيقتل، ويجدل بأرض المعركة، فيبين أن أثار الهزيمة في الآخر/العدو بموهبة تأكدت بها قدرته الإبداعيَّة، وخياله الخصب- بصور تشبيهية توصِل المعنى إلى ذهن المتلقي، وترسخه في وعيه؛ إذ إن "التَّشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد "[1]؛ فالآخر/ المحارب في النَّص كالغيث الذي لا يقل عطاؤه، ويعمّ البلاد لا فاضلًا، ولا متفضلًا على رعيته بكرمه وسخائه؛ ولعلَّ حضور المشبه به الغيث يدل على الكرم والعطاء وهي صفة تلازم الآخر المحارب، وتستكمل عندها شخصيته الفردية الفذة حربًا وسلمًا.

ويجمع الشَّاعر بين القوة والرأي بالإقرار بأن الآخر/ المحارب يحقق التَّفوق على الآخر العدو بهمته العالية، وسداد رأيه مبينًا بأسه في الحرب التي قادها باقتدار؛ إذ يقول[2]: (بحر الطويل)

1-إذا هَمّ بالأعْداءِ أخْلا بِلادَهم بجيشٍ إذا ما بأْسُه مَلأَ المَلا

2- ورأي كضوءِ الشَمس نورًا اذا لخْطبً جَلا ليْلًا منْ الشَّكِ ألْيْلا

3- فِدَاكَ مِنِ الأمْلاك مَنْ ليس مجْملًا إذا سُئِلَ الحُسْنى ولا مُتَجمَّلا

يشيد الشَّاعر بشجاعة الآخر المحارب معلنًا أنه ذو بأس شديد؛ إذا عزم القتال مع الأعداء، وقُرعت طبوله يجعل بلادهم خالية من المحاربين، ومؤدى ذلك أن فرحة النصر ملأت أرجاء البلاد، وهنا ينتقل الآخر المحارب من مدافع عن الأرض إلى مهاجم مبادر فاتح برأي واضح كضوء الشمس في الخطب يزيل ظلمة الشك.

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 289.

(2) الديوان: 41.

ولعلّ ثنائيـة (الضـوء – الظلمـة) ذات بعـد مجـازي، وقيمـة متخيلـة أشار بها إلى طرفي الصراع المتحاربين مثّـل الضـوء، والـرأي الجـلاء إيجابيـة للآخر/ المحارب الذي يتوافق مع الشَّاعر، ومثَّلـت فـي المشـهد نفسـه الظلمـة، والشك سلبية للآخر/ العدو؛ فـ "أن العلاقة بين الأنا والآخـر تقـوم علـى قاعـدة الحركة والصراع.....لا يمكن فهم الذات بـدون فهـم الآخـر، فينبغـي الاعتـراف بوجود علاقة شرطية وجدلية بين الـذات والآخـر، حيـث يصـبح الآخـر شـرطًا لتحرر الذات مـن ذاتيتهـا "[1] فـي الصـراع الـواقعي ضـمن الإطـار الحربـي والنزاعات السياسية الوجودية بينهما.

فالآخر/ المحارب جواد كريم بطـل مغـوار صـاحب بـأس شـديد, وإرادة قوية، ورأيه سديد كضوء الشـمس يُـرى ظـاهرًا لـدى الجميـع؛ فقـد "أعجـب الشَّاعر العربي بـالخلق الحميـد، والـرأي السـديد والشـجاعة الفائقـة والكـرم الواسع، كما أعجب به غيره من شعراء الأمم القديمـة والحديثـة.... لـذلك أثنـى على الرجال المتفـوقين والشـجعان المشـهورين، والقـواد العظمـاء، والرؤسـاء المسوّدين، وامتدح المثل العلّيا التـي رآهـا عنـدهم، ولكنـه نظـر إلـى الملـوك ومن يليهم.... نظـره إكبـار واحتـرام "[2]، وأظهـر فـي (البيـت الثـاني) بأنـه يقتدي بغيره من الملوك من ذوي السلطة والسطوة حتى لا يصيبه أي سوء.

وتـرد الإشـارة الشِّـعريَّة (الحسـنى) ذات مـدلول يتسـع ليشـمل الحسنيين، وهما غاية الآخـر/ المحـارب، ومـراده أن يحقـق النصـر أو يظفـر بالشـهادة؛ فجـاءت شخصـيته الفرديـة متكاملـة برأيهـا النافـذ، وشـجاعتها وبأسها بما يحقق النصر على الأعداء والظفر بهم ببـأس يمـلأ الأرجـاء، فيجعـل الآخر/ العدو يجرّ أذيال الخيبة والخسران.

ويلجأ الشَّـاعر إلـى تحديـد الواقعـة الحربيـة تحديـدًا مكانيًّـا مبـرزًا

(1) الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، حسين العودات، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م: 20-21.

(2) المديح، سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5،(د.ت):14.

خصوصيتها ومستعرضًا أثر الآخر/ المحارب في قيادتها مسجلًا نصره على الآخر العدو؛ إذ يقول[1]: (بحر الطويل)

1- وَفِي يَومِ بَيْسانٍ [2] سقيْتَهمُ الرَّدى وغَادَرْتَ أخْلافَ المنيّةْ حُفّلا

2- وَطيْتهمُ رغْمًا فَلم يُغْنِ حَشْدُهم ومن ذا يَردُ السّيلَ مِن حيثُ أقْبَلا

3- بخيْلٍ إذا أوليتها النَّجم حَلَّقتْ أليه وإنْ أوطأته الحَزْنَ أسْهَلا

4- وضِرب يُقدُّ البِيَضُ كالبَيضِ عنْدهُ وطعْنٍ يريك الزّعْف بُرْدًا مُهَلْهلا

5- وكم أسْمرٍ أوردت أوْردَةَ العِدا وكم أجْدلٍ عافٍ قريت مُجدَّلا

يستعرض الشَّاعر الغارات التي شنَّها الآخر المحارب صلاح الدين الأيوبي على الآخر العدو في بيسان الموقعة التي سقاهم فيها كأس الموت من هول ما لاقوه شدة وبأسًا؛ إذ "لم تكنْ المدائح التي قالها الشَّاعر في صلاح الدين مقصورة على تمجيد بطولته، والإشادة به، وإنما تضمّنت عناصر أخرى ترتبط بالحرب الجهادية التي قادها ومن هذه العناصر وصف المعارك التي خاضها، وهو وصف حماسي عام"[3] ضد الآخر العدو الغازي ببنى شعريَّة ترسخت في معانيها الشجاعة والحماسة؛ لأنه دخل أرض العدو فلم تنفعهم حشودهم التي جهزوها، وأعدوها للحرب؛ فيصيبهم الذعر، ويتملكهم الخوف عند ملاقاته؛ فهو يدافع عن أرضه بثبات؛ فكان جيشه كالسيل الذي لا يرد شدة وقوة؛ فشبهه بالسيل صورة "وجدت طريقها للتشبيه عند الشعراء وهي... كانت تجد هوى في نفسوهم، لقوتها، وشدتها ولهذا كان الفارس

(1) الديوان: 43-44.

(2) بيسان: يريد مدينة بيسان المدينة التي فارقها أهلها ووصلها صلاح الدين الأيوبي سنة 579ه ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر واجتمع الافرنج ولم يستطيعوا ان يقدموا على العساكر خوفًا، ينظر: الكامل في التاريخ، عز الدين علي ابن الأثير، تحقيق عمر عبدالسلام تنمري، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417ه-1997م: 477/9.

(3) شعراء شاميون في العصر الأيوبي: 36.

يشبه نفسه بالسيل؛ لأنه يجرف الأعداء، وقد حسن تشبيه الجيوش بالسيول لكثرتها "[1] إشارة إلى المكانة العالية والبطولة المتفردة التي يتميزون بها.

وأما خيله الأصلية فتحلق إلى النجوم؛ دلالة على سرعتها وخفتها في الميدان يعلوها المحاربون؛ فهو الذي يضرب بالبيض/السيوف، ووصف الضرب والقوة بالشدة يقد الهام والبيض، والدرع ويملأ قلب الآخر/ العدو وصفوفه بالرعب والرهبة، ويريهم الضرب المميت بكل سرعة واقتدار، "وشعر الحرب... كان صورة متميزة لأنه واكب أحداثهم، وعبر عن أمانيهم، ومطامحهم المشروعة وهم يتسابقون في ميادينها الواسعة "[2] بقوة واقتدار.

وقد انتخب الصورة اللونية في وصف السيف أو الرمح (أبيض- أسمر) لإعطاء القيمة المعنوية بعدًا حسيًا فاعلًا في الذهن "وبعد هذه نكون إزاء لوحة فنية كبرى مزاجها الواقع والمجاز وعمادها عدة الحرب، ومناخها الأرض والسماء في مناقلة فائقة بين الحواس "[3]؛ إذ يذيق العدو مرارة الموت (يريك الزُّعف)، والذل والانكسار المر:

4- وضرب يُقدُّ البِيَضُ كالبَيضِ وطعْنٍ يريك الزّعْف َبُرْدًا مُهَلْهلا

ودل النَّص على علو موهبة الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي، وقدرته الكبيرة في توظيف اللُّغة؛ لرسم لوحات تصور الموقف الحربي ببراعة.

ولعلّ عدم الخوف من القتل والموت أصبح لازمة فردية من لوازم الآخر محاربًا شدد عليها الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي؛ فكانت محركًا لتشكيل صور الشجاعة في الحرب، ومعاني البطولة في مواجهة الآخر/ العدو؛ إذ

(1) الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1390ه-1970م :61.

(2) شعر الحرب عند العرب، د. نوري حمودي القيسي، دار الجاحظ للنشر، بغداد،(د.ط)، 1980م:12

(3) الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية(القدامة وتحليل النص), عبدالاله الصائغ، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1997م: 116.

يقول[1]: (بحر الوافر)

1-وَأَبْلَجَ يَسْتهينُ الموْتَ يلقى بِصَفْحة وجْهِهِ حَدّ الصِّفَاحِ

2- وَيخْشى مِنْ دنوّ العَار مِنْه وَلا يَخْشى مِن الأجَلِ المُتَاحِ

3- وَقَوّال إذا الأبْطَال فَرّتْ مكانَك ثَبْتَة مَا مِنْ بَرَاحِ

4- إذا مَا دَبّ فِي خَمرٍ ذَليلٌ سَعى سَعْيَ الأعَزّةِ فِي السَّرَاحِ

5- ببأْسٍ مُذْهلِ الأُسْد الضّوَاري وسَيْبٍ مُخْجلٍ سَيْل البِطَاحِ

يصور الشَّاعر الآخر/ المحارب بالصفة الفردية بالقوة والثبات، وحسن البلاء في الحرب من دون خوف أو تردد؛ ذو وجه مشرق أبيض حسن الهيأة، والمظهر الجسماني، وضّاء الطلعة تشبه حدَّ السيف لمعانًا، و "أما نشاطهم في المعركة، وتقدمهم إلى الميدان بسرعة دون إحجام مع عدم المبالاة بالموت؛ فقد جعلت الشعراء يشبهونهم بالجمال المصاعب في الإسراع، وصعوبة الوقوف في وجوههم "[2]، بالصفة الفردية للآخر المحارب أو الجماعيَّة؛ فالذي يجود بنفسه غير مكترث بالمهالك من الأفعال التي تدل على القوة، والشجاعة، والإقدام والعزيمة في الحرب، ولم يخش أن يقترب منه الأجل، ويخشى في الوقت نفسه من دنو الخذلان والعار، وما يجلب الملامة والهوان؛ لأنه شهم ولا يتحمل الدنية؛ فوظف طباق السلب في لفظتي (يخشى – لا يخشى)؛ ليحقق وصفًا إيجابيًّا للآخر المحارب، وخوفهِ من المذمة (ودنو العار منه) عند الانكسار في الحرب، ولا يخشى من الموت خوفًا من مذمة الجبن والعار.

وأما في (البيت الثالث) فتأتي صيغة المبالغة (قوّال) كناية عن تمكنه، وله كلمة الفصل في الموقف للدلالة على سطوته – صاحب الصوت المرتفع المنتصر في الحرب، والجود في السلم وغيرها، فـ "العلاقة بين الأنا

(1) الديوان: 63.

(2) شعر الحرب في العصر الجاهلي: 99.

والآخر هي حجر الأساس لأي نص إبداعي "[1]، وهي هنا رابطة انتماء جسدها النَّص الشعري: فبأسه شديد وقوته كالأسد، ترهب العدو وتقي شرّه، وتبعد آذاه، وينتقل إلى العطاء لازمة فردية من لوازم الآخر/ المحارب؛ فجعل عطاءه يشبه السيل (الماء الدافق القوي)؛ لأنه مخجل بكثرته وجوده المتواصل لا يجارى؛ فهو الذي يعطي العطايا المتدافعة كما يعطي السيل المتدفق، ويعم نفعه لمن والاه، ويلحق الأذى بمن عاداه؛ فجعل صورة الآخر/ المحارب الممدوح منتزعة من الطبيعة بدلالة إيجابية تقربّ المعنى، وتمنحه القوة والتَّأثير في حالتي السلم والحرب.

ويوظف الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي أوصاف الأسلحة من لوازم الآخر؛ لاستكمال صورته المتحركة في الحرب، إذ يقول[2]: (بحر الكامل)

1-أو سْلّ يَومَ الرّوع أبْيضَ إلّا وعَادَ مِنَ الأَعادي أَحْمَرا

2- أَوْ هَزّ في الهيْجاء أَسْمَرَ ذَابِلًا إلّا وآلَ برأسِ طاغٍ مثمِرا

3- تُردى الكتائبَ كُتْبُه فإذا مَضَتْ لم نَدْرِ أنفَذ أسْطُرًا أمْ عسْكرا

4- لَم يحْسُنِ الأتْرابُ فَوقَ إلّا لأنّ الجَيْشَ يَعْقُد عِثْيَرا

يأتي الفعل الحربي (سلّ) ليؤكد وجود آخر بطل فردي حقيقي جعل الشَّاعر من عدته الحربية نقطة انطلاق لسرد رؤيته الموضوعيَّة للواقع؛ إذ يذكر الأسلحة المشخصة: (أبيض صارمًا، أسمر ذابلًا)؛ إذ إنّ ضرباته موجعة في الآخر العدو ماضية مروعة، واقترنت صفات سيفه بزمان الحرب ومكانها؛ فسيفه أبيض اللون قبل المعركة، ويعود أحمر اللون ملطخًا بالدماء بها وبعدها مصورًا قيم الشجاعة؛ فـ "يسهم اللون في بناء القيمة المدحيّة ببيان تفصيلات حربية تظهر شجاعة الممدوح استرجاعًا بدلالة الأفعال

(1) الآخر في شعر المتنبي، د. سعد حمد يونس الراشدي، دار مجدلاوي ،عمان، ط1 ،2016م : 19

(2) الديوان: 51-52.

الماضية "[1] (سل- عاد- وهز) دالًا على رمحه الذي يتحرك بقوة حامله، ورميه (أسمر ذابلًا)، وهي كناية عن قوة المحارب، وشدة بأسه؛ لأنه حصد رؤوس الغازين الذين اعتدوا - حتى لا يعرف عدد قتلاهم؛ لأن أفعاله ماضية في الآخر/العدو كثيرة وكبيرة سطرتها الكتب والعساكر، ولم يحسن الكتبة أن ينقلوها، وهي صورة تلازم الحرب، وتُرشح عن تفاصيلها التي اتسمت بالشدة ليمنعهم الغبار من استبيان تفاصيلها؛ لانعدام الرؤية البصرية أو عدم وضوحها؛ إذ "إن الوعي بالذات يؤدي إلى تكوين الهوية القائمة على الاختلاف والتَّمايز عن الآخر؛ لأن وعي الجماعة بخصوصيتها وبذاتها يؤدي إلى وعيها بالاختلاف عن الجماعات الأخرى؛ وبذلك يسود التَّوازن والانسجام، أو التَّنافر والاضطراب "[2]؛ فالشَّاعر والآخر المحارب متفقان وعيا بخطر الآخر/ العدو الذي يسعى إلى تمزيق الهوية وطمسها، واستباحة الأرض، وإذلال أهلها فكان فعل الآخر/ المحارب ردًا منطقيًا استلهمه الشَّاعر، وعبر عنه شعرًا.

ويقرُّ الشَّاعر بأن الآخر/ المحارب بشمائله أجرى لسانه على الثناء، وأشرعه للإطراء وبسطه للحمد في إشارة إلى عظم أثره في النفوس معينًا الآخر/ العدو الافرنجي؛ إذ يقول[3]: (بحر الطويل)

1-فَتَفْتَ لِسَانَ الحَمْدِ ثُمّ بَسطْتَه إذا قَبضَ النّكْسُ اللّسانَ وأقْفلا

2- وكانَت حِمىً أرضُ الفِرنْجِ سَبيلًا لأبْناء السّبيلِ مُذلّلا

(1) اللون في شعر ابن الساعاتي (ت604ه)، أزهار وعد دعي علي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف الدكتور: مقداد خليل قاسم الخاتوني، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1442ه-2020م: 74.

(2)صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي، د. سعد فهد الذويخ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 1430ه- 2009م : 7.

(3) الديوان: 42-43.

3- خَشُوا أنْ يُلاقُوا جَحْفَلًا كُلَّ يعدّونَه منه خَميسًا [1] وَجَحْفَلا

4- ولَو أنّهم أَضْعَافهم حِين جَمّعُوا جُمُوعَهَم مَا كَدَّروا لَكَ مَنْهلا

5- وَهَابُوك حتَّى الفَارِس الشَّهم بِجيْشِكَ نَارًا أوْ تأمَّل قَسْطَلا

6- ولَو أنّهُم كَالرّمْلِ أوْ عَدَدَ لَمَا بَيّنُوا إذْ عاينُوكَ كَالأ وَلا

يصرِّح الشَّاعر بحقيقة مفادها: أن القوة والشجاعة، والإقدام خصال فتقت لسان الحامدين، وهيأت لهم دواعي الإشادة، وبسطت الألسنة للقول بالمقارنة مع الضعف الذي يقبض اللسان، ويجعله مقفلا معطَّلا عن المدح، بالمقارنة مع حالتي القوة والضعف، وأثرها في إلهام الشعراء بسطًا وقبضًا، فـ "حين يحس المرء بأن ثمة ما يهدد وجوده، يسرع إلى تأكيد ذاته باحثًا عن شيء أصيل كامن في أعماقه، يركن إليه، كي يحسّ الثقة والأمان والقوة لمواجهة الخطر، وبذلك تتشكل الهوية "[2]؛ إذ صوِّر النَّص طرفين حربيين متقابلين يتماهى الشَّاعر مع أحدهما، ويتقاطع مع الآخر/ العدو ويختلف مظهرًا انكساره على الرغم من قوته، "وقد تكون هذه المقارنة بين الماضي والحاضر لإعلاء الدور الذي نهض به البطل في إحداث الراحة النفسيَّة للمسلمين، وإعادة الثقة إليهم "[3]، إبراز قيمة الآخر المحارب الحربية وشجاعته الفردية؛ لأن هذه الأرض كانت من وقت ليس ببعيد للإفرنج، وتحت سطوتهم، وأصبحت تحت ملك الآخر المحارب يتجول فيها ابن السبيل بكل سهولة، ويسر كناية عن الأمان والاستقرار.

وبنى عجز (البيت الثاني) على كناية تصوِّر انكسار العدو، واستباحة

(1) الخميس: الجيش الجرار الخشن المحكم وسمي بذلك لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة، ينظر: لسان العرب: 70/6.

(2) إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية), د. ماجدة حمود، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، (د. ط)، 1434ه-2013م : 15.

(3) شعراء شاميون في العصر الأيوبي: 35.

أراضيه، بعد أن كانت تقطع سبلها/طرقها على المارين من أبناء السبيل، وهو تحول قسري من السلب إلى الايجاب؛ حتى أن الأعداء خشوا أن يلاقوا جحافل جيش الآخر/ المحارب، ولو جمعوا أضعاف أضعاف عددهم لن ينالوا من قدراتك أو حتى تكدير منهلك، فالشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي مرتبط "بأحداث عصره وقضاياه لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد وينفعل بما يصف، وإنما هو يعيش تلك الأحداث، وهو صاحب تلك القضايا وشعرنا القديم يتجه إلى تسجيل المشاهد والمشاعر، وليس امتدادًا وراءها "[1] وأما (لو الشرطية) في (البيت الرابع)؛ فتدل على استحالة انكسار الآخر/ المحارب وجيشه؛ لأن تحقق شرطها مقترن بالأحداث السِّياسيَّة والحربية، والمعارك التي خاضها الأيوبيون في زمن كانت قوتهم في أوجها؛ مظهرًا تفوق المحارب الأيوبي وتميزه، فكان يصور الآخر العدو مهزوما مع قوته عددًا وعدّة؛ حتى أن الفارس الشهم منهم كان يرى في جيش الآخر/ المحارب نارًا لا تنطفئ.

ويظهر النَّص شجاعة الآخر/ المحارب بمبالغة شعريَّة موظفًا في (البيت السادس) (لو الشرطية) أي: لو أنهم كان عددهم عدد الرمال، والحصى لم يبينوا إذ عاينوك خوفًا يصوِّر لحظات تمكن وغلبة وتصدران عن موطن قوة وثبات، وأن العدو لا يملك من المؤهلات، والثوابت الاجتماعيَّة التي تؤهله للعودة إلى ساحة الحرب، ولملمة شمل جنوده، وأما (لم الجازمة) فقد وردت لنفي علاقة العدو بالحرب بعد الهزيمة، ولم يستطع أن يعاين، وينظر إلى الآخر/ المحارب؛ الذي ألحق به الهزيمة والانكسار.

ويتداول الشَّاعر حقيقة واقعيَّة باعتماد الآخر/ العدو للحرابة وقطع الطرق أمام المتنقلين بعد سيطرته على بعض الثغور التي جعلها نقطة

(1) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة ط3، 1966م، 13.

انطلاق لمهاجمة المارين، ونهب ما بحوزتهم برًا وبحرًا؛ إذ يقول(□):

وكانت حِمىً أرضُ الفِـرنْج فأصْـبحتْ سَـــبيلًا لأبْنـــاء السّـــبيلِ مُـــذلّلا

وأكسـب الشَّـاعر نصوصـه بالصـورة الحسـيَّة بعـدًا جماليًّـا، وقيمـة توصيلية ترسخ المعنى في ذهـن المتلقـي بـإخراج الحـدث مفصـلًا برسـم فعـل الآخر/ المحارب وسطوته على العدو؛ إذ يقول(2):

1-فَقسّمتَهم في المُلتقى قِسْـمَ جَـائرٍ وإنْ كنْـتَ فِـيهم عادلًـا ومُعـدّلا

2- قَتيلًا صَريعًا أوْ جَريحًا مُضرّجًا (3) وخِلّـا طَريـدًا أوْ أسِـيرًا مُكـبَّلا

3- تَولّوا عَن النَّار الَّتي أُوْقِدَتْ لَهُـم من الحَربِ عِلْمًا أنَّها لَـيس تُصْـطَلا

4- وَأشْجَعُهم مَنْ حَاوَلَ العَيْشَ مُـدْبرًا من الخُضْرِ لمَّا عَايَنَ المَـوتَ مُقْـبِلا

5- وَفَاتُوا القَنَا مُسْـتَعظِمين قِتَـالَهم مِن الذُّل والإرْغـامِ مَـا كَـانَ أقْـبلا

6- فَإنْ لـم يُجللْهُـم أسـارْ ومَقْتَـلْ فَقَد رَكِبـوا خِـزْيِ الفِـرارِ المُجلّـلا

7- وَمَـا كَـانَ ذَاكَ الفَـوتُ (4) بَعـد مِنَ المُوتِ حَولًا بَـل كِتابًـا مُـؤَجَّلا

يظهر الفعل الحربـي (قسّـم) فـي المكـان (الملتقـى) المؤكـد بـالمفعول المطلق المضاف (قسـم جـائر) فعلًـا مـدحيًا فيـه السـطوة والإحاطـة، ويؤكـد التَّفوق، والقوة للآخر/ المحارب، ويأتي الدال الشـعري (جـائر) متبوعًـا بالعـدل؛ لأنه يرتكز على مشروعيَّة الدفاع عـن الـنفس والأرض ودفـع العـدوان؛ فقسـم جيش العدو قسم جائر لم تأخذه فيهم رحمـة أو شـفقة؛ لأنهـم قـوم لـيس لهـم ميثـاق أو عهـد معتـدون طـامعون؛ فأصـبحوا بـين قتيـل /صـريع أو جـريح /مضرج أو خلٍ/طريد أو اسير/ مكبل، فإن لم يحقّرهم القتـل والأسـر فقـد ركبـوا

(1) الديوان:42

(2) الديوان: 44-45.

(3) مضرجا: كل شيء تلطخ بالدم أو غيره، ينظر: لسان العرب: 313/2.

(4) الفوت: المسافة بين الخنصر والبنصر، ينظر: لسان العرب: 411/1.

خزي الهزيمة، والفرار، والذل الذي يصغّر من شأنهم.

ويوظف الشَّاعر تقانات البديع من تقسيم وجناس وتقابل وطباق؛ لتتلاءم وتنسجم مع وصف مدارك الحرب، وتفاصيلها مع الصليبيين، وأفاد من قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □)[1]، ولكنه جعلها نارًا لا تنطفئ لتهلك الآخر/ العدو حرقًا، مفيدًا من قوله تعالى : چ ڤ ڤ ڤ چ[2]؛ وأما اسم التَّفضيل (أشجع) فقد جاء مضافًا إلى الضمير للدلالة على محاربي العدو، وتأكيد أنهم هزموا على الرغم من شجاعتهم؛ فـ "الآخر قد يكون قريبًا أو بعيدًا، كما أنه قد يكون فردًا، أو جماعة من الجماعات، أو شعبًا من الشعوب، بحيث تنتفي علاقة القرب المكاني أو البعد في تحديده، أو علاقات الصداقة والعداء؛ فقد يكون الآخر قريبًا، كما يكون بعيدًا، وقد يكون صديقًا أو عدوًا "[3] ، والصفتان متحققتان في النَّص الشعري الذي يرتكز على آخرينِ الأول: قريب صديق والثاني: بعيد عدو.

ويؤكد أنَّ من حاول النجاة، وفضل العيش والبقاء منهم، فسوف يبقى طريدًا خائفًا، ويأتي التَّضاد في (مقبل – مدبر) للدلالة على بأس الآخر/ المحارب وبسالته، بالعظمة والشجاعة باللفظ (قسمتهم)، ولم يرهبه الآخر العدو الذليل المرغم على الهزيمة (فقد ركبوا الخزي الفرار المجللا) مثلما فعلها بهم سابقًا وتكررت، والعدو لم يذله القتل والأسر؛ لأنه يحمل الخزي والعار والصفات الذليلة.

وأما في (البيت الأخير) (ما كان ذاك الفوت – كتابًا مؤجلًا)؛ فقد شبه الشَّاعر اقتراب الموت من الآخر/العدو بالفوت المدة القصيرة أو المسافة بين الإصبعين (الخنصر والبنصر) للدلالة على قرب الموت، مقتبسًا من قوله تعالى: چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چ

(1) سورة المائدة ، الآية :64.

(2) سورة القصص، الآية: 29.

(3) صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي: 10.

(□)، وتظهر في ذلك هيمنته الفردية والجماعية عليهم، والظفر بهم بنصرٍ آت ينتظره الشَّاعر، والآخر/ المحارب معًا، وقد تضمن النَّص تصويرًا متقنًا لمشهد حربي فيه طرفان: قوي ومنكسر، إذ يعلن الشَّاعر غلبة الآخر/ المحارب الممدوح بالحقيقة والشعر، ويرسم حدود هزيمة الآخر/ العدو مستعملًا أسلوب الجمع في بيان حالهم وتفاصيل انكسارهم في الحرب.

وقد برزت صورة الآخر/ المحارب بالصفة الفردية في شعر ابن الدهان الموصلي بصورة إيجابية بثنائية القوة والانكسار التي تظهر قوة الآخر/ المحارب وجيشه، وهمَّته العالية ودربته بغارات الحروب المتكررة، ومغامراتها مقابل انكسار الآخر/ العدو/ المحارب؛ إذ يقول[2]: (بحر الطويل)

1- وَإنْ حارَبَ الأَعْداءَ أَمسى طَريدًا وأمّا جُلُّهم فَطريحُ

2- فَريقانِ شتّى كُلُّهم بجسومِهِمْ جُروحٌ وفي حَبِّ القُلُوبِ جُروحُ

3- فَلَلْتَ العِدا جمْعًا وأذهبْتَ فَمَا بِعَدوّ مِن عِداتِك رُوحُ

4- فَيا جَبلَ العِزّ الَّذي هو شَاهِقٌ من المجد وُهْدٌ[3] دُونَه وسُفوحُ

يصور الشَّاعر مؤديات الفعل الحربي للآخر/ المحارب بثنائيَّة حربية تقوم على المقابلة، وتظهر (القوة والانكسار) بين آخرين اثنين متقابلين؛ فالآخر/ العدو بين حالين: إما طريدٌ وهو القليل أو طريحٌ وهو الأكثر (أمسى أقلهم طريدًا) هاربًا، وأصبح جلّهم طريحًا (قتيل) أو جريحًا أو أسيرًا؛ إذ يسترسل الشَّاعر في ربط أجزاء الصورة الكلية الحربية ببعضها البعض ربطًا فعليًا منطقيًّا، ودلاليا جماليًّا دالًا على مأثر الآخر/ المحارب متخذًا من الفعل الرباعي (حارب) المسند إلى الآخر منطلقًا للسرد، وتفصيلاته الواقعيَّة

(1) سورة آل عمران، الآية: 145.

(2) الديوان: 172.

(3) الوهد: المطمئن من الأرض، ينظر: لسان العرب:470/3.

بجواب الشرط ببنى صورت هزيمة الآخر العدو، وفراره للدخول المباشر في تفصيل جزئيات الحرب، والإشادة بالفعل النافذ وحسن الأداء؛ إذ لم تكن للآخر/العدو القدرة على المواجهة، فكان حاله إما طريدًا أو قتيلًا، لأن الآخر/ المحارب/الممدوح صاحب قدرة، وعزيمة في سطوته؛ فنقل صورة بصرية بين آخرين اثنين بصفتي القوة للآخر/ المحارب، والانكسار للآخر/ العدو المنهزم الذليل في الواقع والشعر.

وأما توظيف التَّضاد والجناس فكأنه للفت انتباه المتلقي في: (أقلُّهم- جُلُّهم) و(طريدًا، طريحًا)، وقد حرص على إظهار التَّضاد في العدد والحركة عبر نسق ثنائي يخدم الرؤية الموضوعيَّة، والنغم الشعري؛ فالصورة بين الفريقين جاءت مليئة بالإيحاءات التي ترسم حركة الحروب الطاحنة التي لا ترحم أحدًا، ولا تبقي ولا تذر، "وتسهم الصُّور المتحركة بخياراتها الواعية في إبراز شعريَّة المديح، ووظيفتها بتوافق، وتماه مع الإيقاع حركة ونموًّا؛ لأن الشَّاعر يجمع صفة إلى أخرى إخبارًا وسردًا معتمدًا التَّجاور المعنوي والارتباط الموضوعي "[1] المتداخل في تصوير الحدث والمناجزة.

وعمل الجناس في (البيت الثاني) بين(جُروح- جروح) على تحقيق تناسق صوتي وانسجام معنوي؛ لأن اللفظتين متشابهتان في الحروف مختلفتان في المعنى :

الأولى:(جروح) مضمومة الفاء جروح المعركة ومؤديات الضرب والمناجزة والاشتباك إلَّا أنها (جُروح بجسومهم).

الثانية: (جروح القلب) مفتوحة الفاء؛ فتعني الألم الذي لم يسلم منه الطرفان المتحاربان من فقد عزيز أو محب أو صديق، وإن جاءت في النَّص مخصوصة بالآخر العدو المنكسر.

---

(1) شعريَّة المديح عند صالح المعمار الموصلي (ت1162ه)، أ. م. د. مقداد خليل قاسم الخاتوني،(بحث منشور), مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ع 79، 1441ه-2019م:141.

ولعل من اسمى غايات الشجاعة، ومنازلها، ومآلاتها وسلوكياتها المحببة أن ننصف العدو؛ إذ "بلغ من حبهم للشجاعة أن شهدوا بها لأعدائهم، فانصفوهم اعترافًا بشجاعة الخصم "[1]؛ فتحقق الثناء باللغة الشِّعريَّة صورة حيّة؛ فالجيشان بين كر وفر وفي العدو فريقان هما : الطريد والطريح (الجرُوح والجرَوح) وهي تفاصيل وأحوال دونت انتصار الآخر / المحارب.

ويوظف الصورة :(ذهبت ريحكم) في (البيت الثالث) التي أفاد فيها من القرآن الكريم في قوله تعالى: چ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ چ[2]، وجاء توظيفه بعناية، ودقة بالمعنى واللفظ ارتباطًا بالقرآن الكريم وجملة (ذهبت ريحكم) كناية قرآنية عن ذهاب قوة الآخر العدو وانهيار عظمته، وانهزامه وخور عزيمته، مؤكدًا على شجاعة الآخر المحارب الفردية مشبهًا إياه بالجبل في قوله (فيا جبل العزّ) صورة حسيَّة مستقاة من الطبيعة الصامتة.

ثم تتحول الصورة إلى السكون، ويدل الجبل على العظمة، والشموخ بالنصر الذي تحقق على الأعداء؛ فهو كالجبل الشاهق الراسي الثابت في كرمه وجوده ومروءته؛ لأن الجبل المأمن الذي يجير الطريد، والمهزوم من الخوف، والقتل أي: أن عزيمة الآخر/ المحارب راسخة كالجبل بصفته مأوًا وملاذًا قال تعالى : چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ چ[3] ويتأكد هنا: "أن الهوية تتمثل في الوعي الضدي بالآخر، ثم ما هي الصور التي يتخذها هذا الآخر في المجال العام للهوية "[4]، وإبراز هوية الذات مسألة ضرورية، ومستقرة في الخطاب الشعري في القرن السادس للهجرة؛ لأنه خطاب وجود بالمقارنة، والمفارقة بين اتجاهين ينتمي الشَّاعر إلى أحدها، ويتماهى معه في الواقع الشعري، ويلتصق بهويته ويدعم توجهاته، ويغذي ميوله بالنَّص الشعري،

(1) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ط 2، 1371م -1952م: 265.

(2) سورة الأنفال، الآية :46.

(3) سورة هود، الآية :43.

(4) الغرب المتخيل صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط العربي, محمد نور الدين أفاية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان ، ط1، 2000م: 12 .

الذي ينطلق من حقيقة واقعيَّة، ويحلق إلى أبعاد متخيلة بحثًا عن الفاعلية الجمالية، ويظهر تباينًا مع الآخر.

ويحدد الشَّاعر خصائص تجتمع في الآخر/ المحارب بالتَّدليل عليها شعريًا يحمل كل منها سلوكية فردية تتوافق مع موقفه؛ إذ يقول[1]: (بحر الطويل)

1-كَريمٌ على العِافين كالغيْثِ مُسْبِلًا شَديدٌ على العَادِين كاللّيْث مُشْبِلًا

2- وَسيلٌ إذا ما المَالُ أقْنَى فأَجْزلا وَسيف إذا ما سُلَّ أفنَى وقَلّلا

3- فَما سُلّ إلَّا أهْلَكَ الشّركَ حدُّهُ ولا سُئِلَ الإحسان إلاّ تَهلَّلا

4- حَياةٌ إذا يَرضى حِمامٌ إذا سَطا [2] قَديرٌ إذا يَعفو عَفيفٌ إذا خَلا

5- وحلوٌ إذا والَيْتَه لَذَّ أَرْيُه لَديْكَ وإن عادَيْتَه عَادَ حَنْظَلا

6- إذا سَيفُه فِي الرَّوْع فَارَق غِمْده يفرّقُ ما بين الجّماجِمِ والطُّلى [3]

يسرد الشَّاعر صفات الآخر/ المحارب بالصفة الفردية معلنًا تفرَّده بخصال دون غيره؛ فامتلك الجود والشجاعة متتابعة يختص كل طرف منها بزمن معين، وظرف محدد؛ فهو جواد كريم على مواليه مسالمًا كالغيث الذي يروي وينفع، وشديد في بأسه على المعتدين = الآخر العدو، كالليث المشبل يصول، ويضرب، وأما لفظتا (مسبلًا- ومشبلا) فمتجانستان لتناغم الجرس الموسيقي، وتشكيل المعنى الشعري ببنية الحال المفردة:

-الآخر المحارب ← كريم كالغيث ← للعافين (الفقراء)

-الآخر المحارب ← شديد كالليث ← على العادين/ الآخر/ المحارب/ العدو

(1) الديوان: 39.

(2) سطا: البطش في الأعداء، ينظر: لسان العرب: 383/14.

(3) الطلى: جمع طلية، وهي صفحة العنق، ينظر: لسان العرب: 13/15.

فالآخر/ المحارب كالغيث والسيل النافع على الموالين، وشديد كالليث على المعتدين والمشركين يهلكهم بحد السيف إذا سله محاربًا.

ووظف الشَّاعر (فما سل) مستعارة للآخر/ المحارب بالسيف ضد المعتدين، وهي صفة أطلقها على الصليبيين، واستعمل (إذا) الشرطية مكررة في النَّص الشعري؛ فالآخر/ المحارب قدير عفيف كريم قاهر الأعداء تميز بصفات القادة، وشمائل العظماء- إذا واليته كان حلوًا، وإذا عاديته كان مرًا حنظلًا، وإذا اشتد الخطب، وفارق السيف الغمد يفرق بين جماجم الأعداء ورقابهم؛ دلالة على شجاعته، وتمكنه "وربما تتشكل صورة الآخر من عناصر انتقائيَّة -وهي ما نريد أن نثبتها في أذهاننا عن هذا الآخر "[1] المحارب وهي صور جمعت له وفيه، فإذا لقي العدو أوقع فيه شر الهزيمة وألبسه ثوب الخسران.

وأما تكرار حرف السين في النَّص (مسبلا- سيل- سيف- سئل- إحسان- سطا) فجاء لإشاعة "موسيقى داخلية، وذلك ما يجعل دلالة الهمس التي يدل عليها ذلك الحرف – أمرًا مفروضًا على النَّص فاستخدام الحرف ينطوي على شيء اشبه بالسحر"[2]؛ فسيفه في المعركة يفرق بين الرأس والجسد لجسارة حامله وقوته في التَّصدي وتحقيق النصر.

ثانيًا: الآخر محاربًا بالصفة الجمعيَّة(طرفا القوة والانكسار)

يصور الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي الآخر المحارب بالصفة الجمعيَّة بالضمائر الدالة على الجمع استكمالا للمشاهد الحربية التي يظهر فيها فرادة الآخر/ المحارب، وسطوته على الأعداء محققًا لوحات شعريَّة تهيمن عليها ضمائر الجمع مع دقة في الوصف والنقل للوقائع الحربية التي تمجد البطولة، وتجلي تفاصيلها في واقع ساده الاضطراب، وعمته النوازل

(1) صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي : 11.

(2) الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، د. أحمد علي الفلاحي، دار غيداء للنشر والتوزيع ،الأردن،(د. ط)، 1434ه-2013م: 258.

بفعل آخر عدو محارب؛ إذ يقول[1]: (بحر الكامل)

1-جَمَعَ الجيوشَ فَشَتّ شَمْلَ مَا فَرَّقَ الأَعْداءَ مِثْلُ تَجمُّعِ

2- لَم يُثْنِهِ عَن نَصْرِه خُلَفاءَهُ عِظَمُ العَدوِّ وَلا بَعادُ الموْضِعِ

3- بِجحافلٍ مثْلِ السُّيولِ تَدافَعتْ وإذا السّيُولُ تَدافَعتْ لَم تُدْفَعِ

4- مِن تُبّع[2] فَلَكَم لَه مِنْ تَابِع أوْفَى وأوْفَر عِزّةً مِن تُبّعِ

5- مِن دَوْحةٍ شَاذيّةٍ أرجَتْ لَهَا الـ دُ نيا لِطِيْبِ شذًى لَهَا مُتَضوِّع

يرسم الشَّاعر حركة الآخر/ المحارب المستمرة مع المحاربين بالصفة الجمعية، ويظهر أفعالهم الدؤوبة التي تدل على شدة بأسهم وبراعتهم في القيادة؛ لأن الآخر استطاع أن يجمع الجيوش المتجحفلة؛ لتشتيت شمل الآخر/ العدو ببنية شعريَّة متقابلة يقوم طرفاها على فعلين متضادين فاعلهما واحد وهو الآخر/ المحارب الذي جمع جيشه، وفرق شمل عدوه، فهو جامع ومفرق في الوقت نفسهِ بالمفارقة الحدثية وهما حدثان إيجابيان في الموقف الحربي لمفعولين متضادين جيش الآخر/المحارب، وجيش عدوه:

الآخر المحارب الممدوح ← بجمع شمل أنصاره ← جيشه ثابت شجاع

الآخر المحارب العدو ← شمله مشتت يعاني الفوضى، والتَّفرق بفعل الآخر/المحارب بالصفتين الفردية والجماعية.

إذ تضاد الجيشان وهما جيش منتصر متماسك؛ بفعل البطل المحارب، وجيش مشتت مفرق أيضًا بفعل الآخر/ المحارب؛ لأنّ جيشه

(1) الديوان: 31.

(2) تبع: هو تبع بن حسان بن تبان، ملك من ملوك حمير في اليمن، قيل اسمه مرثد، وهو تبع الأصغر آخر التبابعة، ملك بعد عبد كلال، شكا له قوم من حمير من اليهود سوء مجاورتهم، فصار إلى يثرب ونزل بأحد، وقتل منهم ثلاثمائة رجل وذللهم، وكان ملكه 78 سنة، ينظر: الأعلام:83/2.

بالصفة الجمعية يشبه السيول الدافعة المتدفقة المتدافعة، ويدل تكرار لفظ (تدافعت/ تدافعت) في (البيت الثالث)؛ على مكانة الآخر المندفع نحو العلا، والرفعة من دون تراجع، ولعلّ تشبيه جحافل الآخر المحارب بالسيول المتدافعة المتدفقة التي لا ترد، وإلحاق قوة الجحافل بقوة الماء الطبيعيَّة أسهم بشكل فاعل في نضج المعنى، وإيضاحه بالظاهرة الكونية المتكررة في الواقع، ويألفها المتلقي، وكأن هذه الجحافل قد تكررت، وأُوكلت باقتلاع الأعداء وطردهم كما تجتاح السيول كلَّ شيء أتت إليه أمامها.

ووظف الجناس في لفظتي (أوفى- أوفر) (شاذية – شذى)؛ لتناغم الجرس الموسيقي المؤثر؛ مما يحقق انفعال المتلقي بمكانة الآخر/ المحارب وجيشه، وانهزام الآخر/ العدو، وشتاته بفعل القوة الضاربة للآخر المحارب بالصفة الجمعية، وحسن قيادة الحرب بتفاصيلها وأحداثها، والقدرة في إدارتها بـ "اختيار لحظة الهجوم المناسبة، وتوجيه الرجال بما يتوافق ومقتضيات الموقف قبل المعركة وفي أثنائها واعتماد أسلوب القتال الملائم لدحر العدو وايقاع الهزيمة به "[1]، وأُقرنت المشاعر بالآخر/ المنتصر برسم صورة الشجاعة بلغة شعريَّة واصفة؛ تؤكد تفوقه ورجحان كفّته؛ إذ تأتي "أهمية صورة الآخر في أدب أي أمة أنه يكشف الخصائص العميقة لهذه الأمة في أعين أبنائها، والمكونات الأهم لهويتها؛ لأنهم إنما يتناولون الآخر ويتحدثون عنه بإبراز الجوانب التي يرون أنه يخالفهم فيها "[2]؛ فحاول أن يبرز انكسار الآخر/ العدو أمام قوة الآخر/ المحارب جيش صلاح الدين الذي كسره وتفوق عليه بسيول من المحاربين تشبه سيول الماء بقوتها وجحفلها.

(1) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، د. مؤيد اليوزبكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2008م: 245.

(2) دراسات صورة الآخر في الادب العربي وأثر ادوارد سعيد دراسة مقارنة، صالح بن عويد الحربي (بحث منشور), مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية ع 20، 1441ه:164 .

وأما في(البيت الرابع) فقد "يقتنص الشَّاعر من النسب صورة شجاعة صلاح الدين الأيوبي وبطولته، فأظهره من أسرة أنجبت ملوكًا وأمراءَ وقادةً "[1]، جمعوا الجيوش لدفع خطر الصليبيين في واقع نهضت فيه العزائم، وتعالت في الأصوات التي عبر عنها الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي ببنى شعريَّة أظهرت قيمتها، واستعرضت تفاصيلها باقتدارين فني وانتمائي:

4- مِن تُبّع فَلكَم لَه مِنْ تَابِع أوْفى وأوْفَر عزّةً مِن تُبّعِ

ويتوج البيت(البيت الخامس) عناصر المدح، ويستكمل صورة الآخر المحارب بامتداح أصله، ونسبه بالصورة الشمية:

5- مِن دَوْحةٍ شَاذيّةٍ أرجَتْ لَها دُ نيا لِطِيْبِ شذًى لَها مُتَضوِّع

ويتأمل الشَّاعر بالصفة الجمعية جيش الآخر/ المحارب بما فيه من قدرة كبيرة على قتال الآخر/ العدو، وما يحمل من حماس قوي في المواجهة وبأس عند اللقاء، ويكشف عن سطوته مع العفة والشهامة؛ إذ يقول[2]:

(بحر البسيط)

وَفَيْلَق يَمْلأُ الأقْطارَ ذي لَجَبٍ[3] يُضْحِي لَه ثابتُ الأطْوادِ مَدْكُوكَا

من كُلَّ أغلب تَلقىُ عِرْضَه حَرَمًا مُوفّرًا وتُلاقِي المَالَ مَنْهُوكَا

سَنَّ الحَديدَ عَلى كَالمَاءِ شَيّعَهُ مِثْلُ الحَديدِ بَرَاهُ اللهُ فِتّيكَا

صُمٌّ عَن الذّامِ لَا يَأْتُونَ دَاعِيهُ فَإِن دعَوت َإلى حَربٍ أَجَابوكَا

بَعَثْتَهُم نَحو جَيش الشّرْك فَانْبعثوا يَرَوْن أكبرَ غُنمٍ أنْ أطاعوكَا

يصف جيش الآخر/ المحارب بلفظ (فيلق) دلالة على كثرته، ومنعته بأنه جيش عرمرم؛ (يملأ الأقطار) كناية عن الكثرة في العدد، ولهم

(1) صورة صلاح الدين الأيوبي في شعر ابن الدهان الموصلي (ت581ه)،(بحث منشور): 251.

(2) الديوان: 221-222.

(3) لجب: ارتفاع الأصوات واختلاطها، ينظر: لسان العرب: 735/1.

الأصوات العالية (ذي لجب) المدوية في ميادين الحرب.

وأما الآخر/ العدو فلا تسمع له صوتًا، وولى منهزمًا؛ فالصورة البصرية متناقضة متضادة بين الطرفين:

الأولى: إيجابية تزهو بالنصر المؤزر.

والثانية: سلبية اتسمت بالهدوء والخضوع والخوف.

وفعل الآخر/ المحارب يضحي مضارعًا ثابتًا مستقرًا كالجبل (الطود) الذي لم تزعزعه الرياح، والمواقف الصعبة، ويوظف اسم التَّفضيل (أغلب) للآخر/ المحارب وجنوده بالجمع؛ فوصفهم بأنهم الشجعان المنصورون؛ إذ كانت غايتهم الدفاع عن الأرض قبل المال، وتظهر الأبيات الشِّعريَّة رؤية الشَّاعر الصادقة، وحماسته واندماجه مع الموقف ثباتًا وغلبة.

وأما في (البيت الثالث) فقد شبه لمعان السيوف بشعاع الماء لحدتها، وبطشها في الآخر/ العدو مع قوة أجسامهم، وصلابتها كصلابة الحديد لا تلين ولا تتعب؛ فالآخر/ المحارب يحمل الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة بالجملة الشِّعريَّة: (صم عن الذم) ومن قوم لا يتكلمون بالأشياء الذميمة، ولا يأتون داعيها وناديها، ولم تكن غايتهم الدنيا، وإنما الدفاع عن مبادئهم المتجسدة في نفوسهم، ووعيهم بالعفة والشجاعة والسماحة، وإن دعوتهم إلى الحرب أجابوا مسارعين، لأنهم يرون أن صدَّ العدوان واجب يطاع فيه.

ونجد عناية بالحركة والمنظورات البصرية لدورها "في رسم الصورة وتمكينها في الذهن بملازمة أبعاد عرفية سائدة في محيطه تكتسيها تجربة تؤازر الصورة، وتدعمها بموحيات تترك انفعالات حقيقية تلتقي بإدراك في المتلقي "[1]، وتضمن تواصله مع الحدث الحربي المنبثق عن واقع فرضته النوازل، واستغرقته زمانيًّا ومكانيًّا، ولعلّ ملازمة الحديد للحرب، واقترانه بالبأس في (البيت الثالث) تؤكد مرجعيَّة الشَّاعر ابن الدَّهان وإفادته من قوله

(1) شعراء عراقيون في العصر الوسيط (قراءات نقديّة في الصُّورة والمشهد):47.

تعالى:چ پ ت ت ذ ذ چ (1)

انزلنا الحديد يراه الله – الحديد

بأس شديد فتيكا

وينتخب الشَّاعر بنى شعريَّة لإبراز مشاهد تصويرية، واستكمالها تحاكي فعل الآخر المحارب باللغة بسياقات دلالية مصورًا الواقع الذي يعيشهُ، والنصر الذي أنجزه؛ إذ يقول(2):

1-أَيُغْترى فِرْيةً (3) في ذكرِ ماريةَ (4) وآلِ جَفْنةَ إلَّا عَقْلُ حَيْرانِ

2- قَد كَانَ يزأرُ زأْرَ الأسْدِ حِين خَلا ومرَّ لمّا أَتتْهُ مرّ سَرْحانِ

3- كَتائبٌ سَدَّ عيْنَ الشَّمس عِثْيَرُها فأَشْرقَتْ عُربٌ مِنْ تَحتِ تيجانِ

4- سَماءُ نَقْع تَرى حَيث اتَّجهْتَ بِها بَدْرًا يكرُّ بنَجْم أثْر شَيْطَانِ

5- فَاسْتعذَبَ الذُّلَ خَوفَ المَوتَ يسْتقربُ البُعْدَ أوْ يَسْتبعِدُ الدّاني

6- أَمْرانِ مُرّان (5) أطْرافُ البِلادِ على نَاجي السّوَابِق أوْ أطْرافِ مُرّانِ

حاول الشَّاعر ترسيخ الصورة الحربية للآخر بأسلوب استفهامي مجازي (أيغترى) وهو استفهام تعجبي بذكر (مارية) التي ضرب بها المثل (بأخذ الشيء بكل حال) أو يتعجب، ويتحير من عقل من فكر بها، وانتقل إلى الآخر/ المحارب الذي

---

(1) سورة الحديد، الآية :25.

(2) الديوان : 120- 121.

(3) فرية: كذبة، ينظر: لسان العرب: 154/15.

(4) مارية: مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنه، من سلالة عمرو مزيقياء وقالوا هي أم حارث الأعريج الذي عناه حسان بقوله:

أولاد جفنه حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم الفضل

يضرب المثل بقرطيها يقال: خذه ولو بقرطي مارية، ينظر: الأعلام: 254/5.

(5) مُرّان: عصارة شجر مر، وقيل هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، ينظر: لسان العرب: 537/1.

يصبح في الحرب كالأسد يزأر؛ فشبه صوته بصوت الأسد، وسرعته بسرعة الذئب، باستقدام شعري لصورتي الطبيعة (الحيَّة والصامتة) في وصف الآخر/ المحارب بتنشيط الحواس، وانتخاب ما يلائمها من الصور؛ فأظهره بصورة سمعيَّة مركبة؛ فالصوت كزئير الأسد، وصورة بصرية متحركة؛ جعله بسرعة الذئب؛ ليتكامل المشهد الصوري، ويدركه المخاطب بالحسِّ إشارة إلى شجاعة الآخر/ المحارب، وأما كتائبه بالجمع؛ فبحركتها الدؤوبة، واضطرابها الكثيف المتواصل يحجب الشمسَ غبارُها المتصاعد؛ فاستعار لفظ أشرقت للعرب دلالة على النصر، وابتهاجًا متجليًا بالنصر المؤزر الذي حققه على الآخر/ العدو في الأماكن جميعها ببراعة في "تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه خارج الأذهان "[1]، وكأنها مشاهد حيَّة ترسمها اللغة.

ووظف في (البيت الرابع) الصورة البصرية واصفًا بها الآخر/ المحارب الذي يشبه البدر ويكر بنجمه (السيف) يطارد الآخر/ العدو/؛ فدلالة المكان (أثر شيطان) توحي بخوف الآخر/ العدو، ورعبه من الموت منهزمًا يطارده الخزي ويلاحقه العار، فالآخر المحارب وصف بـ "الشجاعة والحماية والدفاع، والأخُذ بالثأر والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران، والسير في المهامة الموحشة والقفار وما أشبه ذلك "[2]، وأما الآخر/ المحارب/ العدو: فقد استعذب مرّ الهزيمة، والذل خائفًا من الموت؛ لأن الآخر المحارب (يستقرب البعد) أو يستبعد القريب (الداني) الخزي والعار والذل، فالمقابلة بين الحالين في عجز (البيت الخامس) وصفت الآخر/ العدو الجماعة المحاربة بالخذلان، والهزيمة والخوف؛ لأنه لا يأمن على حياته في مكان قريب من الآخر (الصالح بن زريك)؛ فجاء التَّضاد بين (يستقرب× يستبعد) (البعد× الداني)؛ ليصوّر الحالة المأساوية التي يمر بها الآخر/

(1) منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني(ت 684ه)، تحقيق :محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الكتب الشرقية، تونس،(د. ط)، 1966م :120.

(2) نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت 337ه)، مطبعة الجوانب، قسطنطينية، ط1، 1302ه:21.

العدو، وجعلها مشاهد حربية مترسخة بسياق دلالي، وصوري في ذهن المتلقي ووعيه، "وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التَّحديد على التَّقليل من قيمة الآخر "[1] بسرد مواقف حربية من الواقع.

وتأتي الصور الذوقية في (أمْران مُرّان) على الآخر/ المحارب العدو فـ "الآخر في أكثر معانيه شيوعًا يعني شخصًا آخر، أو المجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع ذلك الشخص أو المجموعة استطيع (أو نستطيع) تحديد اختلافي (أو اختلافنا) عنها "[2]حين ينجو من المعركة، ويفر هزيمة بعد أن سابق بالغدر والخيانة، وينجو من الرماح التي أصابته، ولم تقتله إذ جعله هدفًا للرماح لابتعاده هاربًا من المناجزة بالسيف، وكأنه يرجم من بعيد إلحاقا دلاليًّا بالمشهد القرآني المتحرك من دون السياق قال تعالى: چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ[3]، وتظهر براعة الشَّاعر (ابن الدهان الموصلي) في انتاج مدلولات شعريَّة تعبر عن ملازمة الإقدام والقوة للآخر/ المحارب بالصفة الجمعيَّة، وبالضمائر الفردية، وببنى جمالية غير مباشرة تعتمد القياس والالحاق في التَّدليل ؛ إذ يقول[4]:

سَاروا إلى الموت بَسّامينَ تحْسَبُهمْ سَاروا لوِصَلْ حَبيب غِبّ هُجْران

يَستَعْذِبونَ المنَايا نَجدةً فلَهُمْ إلى ظُبَاة المواضي ورْدُ ظَمآنِ

(1) دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا، د. ميجان الرويلي، د.سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م:23.

(2) دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا:23 .

(3) سورة الملك، الآية :5.

(4) الديوان: 120.

لا يرْهبُ الموتَ أدْنــاهُمْ فَهُــمْ بَــدَدْ[1] في كلّ دَهْماءَ مــن مثْنــى ووحْــدانِ

أبْدى هوًى بــالعلّى لكِــنْ رأى صَــعَدًا مــن دُونِهــا فَسَــلاها أَيَّ سُــلْوانِ[2]

وصف الشَّاعر الآخر/ المحارب بصيغة الجمع (ساروا)؛ ليدل الفعل الماضي على أن أفعالهم ماضية في الآخر العدو؛ فهي إشارة إلى الإقدام، والثبات والثقة في الموقف الحربي من دون فزع أو خوف من الموت أو تراجع؛ بوجوه باسمة مستبشرة غير حزينة، مشبهًا إياهم كمن سار إلى لقاء حبيب بعد هجران، وهي مفارقة بأن جعل الشعور متحدًا في الموقفين بفعل السير (ساروا)، واستعار لفظة عذوبة للموت بصورة ذوقية تكثف المعنى؛ لأن الموت بعزٍّ دفاعًا عن الأرض والوجود محبب يسعى إليه الأبطال، وينشده الفرسان كـ(الظمآن) العطشان الذي يشرب الماء ويعبه عبًّا.

ومن دلائل شجاعة الآخر/ المحارب وجيشه عدم الرهبة؛ فهم أشداء أقوياء أيديهم مفتولة، وأجسامهم قوية بهية، وأصحاب عزة، ورفعة ومروءة ونجدة، يغيثون المحتاجين، ويؤمنوهم بجيشهم، وقوتهم بهمم، وفعال كبرى؛ فالعلاقة "بين الأنا والآخر علاقة جدلية لا ينبغي إلغاؤها أو تجاهلها والسكوت عنها، فعلاقة كل منهما بالآخر هي ثنائيَّة قائمة في طبيعة الحياة "[3]، وما بها من سطوة، ومتغيرات ومناجزة توافقا وتباينًا.

ومن إشارات جرأتهم أنهم يتسابقون إلى الموت في ميادين القتال؛ إذا أخرج الموقف الحربي بصيغة الجمع للآخر/ المحارب بصور بليغة نابعة من إحساس صادق، ورغبة في المشاركة الفاعلة بالكلمة في نصرة المحاربين والاصطفاف معهم في دفاعهم، وصد العدوان بتشكيل صور متحركة للمخاطر تحاكي الواقع، وحربه الدائرة رحاها، وتصدى لها الأبطال

(1) بدد: هم الذين أيديهم مفتولة واسع الصدر، أي البعيد ما بين اليدين، ينظر: لسان العرب: 80/3.

(2) سلوان: انسلى عني الهم، تسلى بمعنى انكشف، ينظر: لسان العرب: 394/14.

(3) الآخر في الثقافة العربية من مطلع القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين : 19.

يلاقون المهالك والشدائد مبتغين بهمم عالية، وعزائم قوية صورها الشَّاعر بالحسّ؛ فجاءت البنية الشِّعريَّة متماسكة أحاطت بالموقف، وعبرت عن انتماء للهوية وتماهٍ مع الآخر/ المحارب بصفتيه الجماعيَّة والفردية مع تقاطع في الوقت نفسه، وتضارب مع الآخر العدو، وفعله المعادي.

ويكتمل المشهد الشعري الحربي بصور مركبة يرسمها الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي للآخر/ المحارب بالصفة الجمعيَّة؛ ليبدو فيها فاعلًا ذا حزم وعزم، وقوة في محاربة الآخر/ العدو؛ إذ يقول[1]: (بحر البسيط)

1-بَعَثْتَهُم نَحو جَيش الشّرْك فَانْبعثوا يَرَوْن أكبرَ غُنمٍ أنْ أَطاعوكَا

2- سَاروا إلى المَوت قُدْمًا ما كأَنَّهمُ رأَوْا طريقَ فرارٍ قَطُّ مَسْلوكَا

3- فَأَوْردوا السِّمْرَ شُرْبًا مِنْ نُحُورِهم وأَوْطِؤوا الهامَ بِالقَاعِ السِّنابيكا[2]

4- ضَربًا وطعْنًا يَقُدُّ البِيضَ[3] ويَخْرُقُ الزّرَدَ[4] المَاذيّ مَحْبوكَا

5- وَباتَ في كلّ صُقْيعٍ مِن ديارهُمُ نوْحٌ على بَطلٍ لَوْلاك ما شِيكا

أشاد الشَّاعر بحماسة الآخر/ المحارب بالصفة الجمعيَّة والفردية واندفاعه وقوة الجند بأسلوب شعري يعينه بالضمير (التَّاء) (بعثتهم) يريد (أبا الغارات طلائع بن زريك)[5]بالفعل الماضي (بعث)؛ للدلالة على تمكنهم، وشجاعتهم مع القدرة على مواجهة الآخر/ العدو (جيش الشرك)، وهو وصف أطلقه على الصليبيين الغزاة، بمقابل جيش الآخر/ المحارب الذي يرى

(1) الديوان: 222.

(2) السنابيكا: سنابيك اول الشيء، وطرفه، ينظر: لسان العرب: 444/10.

(3) البيض: السيوف، ينظر: لسان العرب: 250/9.

(4) الزرد: اسفل البيضة (الخوذة) تغطي عنق المقاتل، ينظر: لسان العرب: 433/8.

(5) طلائع بن زريك، الملقب الملك الصالح (ت556ه)، وزير عصامي يعد من الملوك، أصله من الشيعة الامامية في العراق، قدم مصر فقيرًا فترقى في الخدم، حتى ولى منية ابن خصيب، سنحت له الفرصة دخول (القاهرة)، فولي وزارة الخليفة الفاطمي، نعت بالملك الصالح فارس المسلمين، ينظر: الاعلام: 228/3

أن أكبر الغنائم وأفضلها إطاعة ولي أمرهم؛ فحاول أن يظهر شدة بأسهم بلغة شعريَّة جمعت المجاز والحقيقة؛ إذ وظّف الاستعارة المكنية (الموت)، وحذف المستعار(المعركة) وأبقى شيئًا من لوازمه،.

ويجسد انتصاره بصورة بصرية للعدو، وفراره وتباين موقفه (الخزي والعار الذي لحق به) و "ما يذم به الشَّاعر أعداءه بعدم الصبر، والهرب من الميدان، ورمي الأسلحة، وترك القتلى مصرعين، والجرحى يئنون "[1]؛ فالآخر/ المحارب وجنوده أوردوا الرماح دماء الآخر/ العدو تشرب منها في صورة استعارية لها وقعها في النفس؛ فوظف الاستعارة (شربًا) للرفع من شأن جماعة المحاربين الذين دافعوا عن الحمى، وتميز قتالهم بالشدة والصلابة بـ (قدّ البيض = السيوف) وخرق الدّرع، ولم يكن خلسة وجبنًا يسمون إلى الشرف والكرامة، ونثروا جثث القتلى على الأرض في قتالهم.

ويتقن الآخر/ المحارب استعمال فنون الحرب والقتال كافة (ضربًا وطعنًا) بشجاعته، وشدة بأسه بسيوف تمزق الدروع، وتفتك بالآخر العدو بمشهد تصويري بات فيه النواح والبكاء على قتلاهم في ساحات الحرب في كل مكان من ديارهم.

لقد وظف الشَّاعر الفعل الماضي في صدور الأبيات الشِّعريَّة: (بعث- سار- أورد- ضرب- بات)؛ لتشكيل موقف واقعي فيه ثبات الآخر/ المحارب، وأفعاله في الآخر/ العدو قتلًا، وأسرًا ببنية شعريَّة محكمة تستوفي أحواله ماضية وحاضرة.

وقد يكون الآخر/ المحارب جماعة الجيش بأكمله؛ إذ يصور المحاربين، ثم ينتقل إلى تصوير الآخر/ المحارب فردًا مع بيان شدة بأسه، وقوته وصلابته في مواجهة الآخر/ العدو المحارب ؛ إذ يقول[2]: (بحر

(1) شعر الحرب في العصر الجاهلي: 254.

(2) الديوان: 32-33.

الكامل)

1-المعُرِضـــين إذا تّعَـــرّضَ مَطْمـــعٌ والمُقْبلـــينَ إذا دَعَـــواْ فـــي مَفْـــزَعِ

2- وَالنَاثرين الهـــامَ يَبْـــرقُ بيضُـــهُ والخُـــــارِقِين مُضَـــــاعَفات الأدرعِ

3- قَومْ إذا يَقَـــعُ الصّـــريخُ تَبـــادَروا نَحْـــوَ الحِمـــامِ [1] بِكُـــلّ أبْلَـــجِ أرْوَعِ

4- لَا يَغـــرُرَنَّ الـــرُّومَ بُعْـــدُ دِيـــارهم إنَّ الخلـــيجَ لـــديْك أقْـــربُ مُشْـــرَعِ

5- لَو أنَّ مِثْلَ البحْـــر سَـــبْعة أبْحـــرٍ مِـــنْ دُونِهِـــمْ وأزدْتَهُـــم لَـــم تَمْنَـــعِ

6- كَم وقْفَةٍ لَك فِي الوَغى مَحْمـــودةٍ أبَـــدًا وكَـــمْ جُـــودٍ حَميـــدِ المَوْقِـــعِ

7- وَالطّيْرُ مِـــنْ ثِقَـــةٍ بأكـــلٍ مُشْـــبعٍ تَبِعَتْ جُيوشَـــكَ فَـــوق غَـــابٍ مُسْـــبعِ

يحضر الآخر/ المحارب بالصـــورة الجماعيَّـــة فـــي المعركـــة (المعرضـــين، المقبلـــين، النـــاثرين، الخـــارقين) التـــي يؤكـــد فيهـــا شـــعرًا، وحقيقـــة امـــتلاكهم الشجاعة مع حسن الـــبلاء بهيمنـــة واضـــحة، وصـــريحة علـــى مجرياتهـــا؛ فـــإذا تعرض لهم الطامعون الغزاة صدوهم ببـــأس قـــويٍّ، وثبـــات متواصـــل؛ يعرضـــون عند المطامع ويقبلون في المفازع، لبـــوا النـــداء مقبلـــين بكـــل شـــجاعة، وفخـــر غير مدبرين مقررًا حضور الآخـــر/ المحـــارب بـــالجمع؛ إذ وظـــف التَّضـــاد بـــين (معرضـــين- مقبلـــين)؛ ليـــدل علـــى شـــجاعتهم، وجمعهـــم الفضـــائل والشـــمائل بسلوكين متفقين في الإيجاب دلالة، ومتضادين في الاتجاه إعراضًا وإقبالًا.

ويأتي المدح باسم الفاعـــل (نـــاثر – خـــارق) الـــذي يصـــور القـــوة فـــي حدثين همـــا: الشـــر والخـــوف مـــن دون الارتبـــاط بـــزمن معـــين؛ لمـــا يلاقيـــه المقاتلون من بأس في الحرب، ومشاق فـــي المواجهـــة فـــي كـــل وقـــت وحـــين، واستعمل الشَّاعر لغة حربية بناهـــا، وتراكيبهـــا مفعمـــة بالحركـــة، والمجـــاز فـــي الوصـــف: (النـــاثرين الهـــام يبـــرق بيضـــه) الـــذين ينثـــرون رؤوس الأعـــداء،

(1) الحمام: بالكسر، قضاء الموت وقدره، من تولهم حم كذا أي قدر، والحمم المنايا، وحدتها حمة، الحمام الموت، ينظر: لسان العرب: 151/12.

ويفصلونها عن أجسادهم بسيوفهم البيض اللامعة.

ويصور صولات جيش الآخر/ المحارب في الميدان محققًا النصر على الصليبيين؛ فيخرقون الدروع بقوة ضرباتهم ونفاذها، وإذا وقع الصريخ (المستغيث) اتجهوا إليه، وتبادروا نحوه بسيوفهم، وخيولهم ينصرون الحق، وهنا تعبير عن القيمة بالصورة السمعيَّة.

وبعد الإفاضة في ذكر صفات الآخر/ المحارب بالجمع (المعرضين- المقبلين- النازلين- الخارقين- تبادروا) يشرع وفي (البيت الرابع) بتعيين الروع، مؤكدًا أنهم لا يحميهم بعد الديار والبحر الذي يصله بهم، ثم ينتقل إلى وصف الآخر/ المحارب بالمفرد؛ إذ شكل تعيين الآخر/ العدو نقطة تحول في السرد، والرؤية من الجمع إلى المفرد بـ(أردتم = لك = جيوشك = الآخر المحارب)؛ وبذلك صور النَّص واقع الحرب بمنتخبات مجازية، وبنى شعريَّة عبرت عن انشغال الشَّاعر بالصراع بإيراد آخرينِ اثنين مهاجم معتدٍ ومدافعٍ يرد الاعتداء.

وقد جاءت (لو الشرطية)في (البيت الخامس) مقترنة بالجمع (أبحر) مبالغة في الوصف؛ لأن شرطها متحقق بالنصر على الآخر العدو بإضعاف قوته، والإشادة بشجاعة الآخر/ المحارب، وشدة بأسه مع جيشه وتمكنه؛ إذ لا تمنعه البحار أو أي عارض طبيعي أو بشري من الوصول إليهم؛ فالشَّاعر يَسخر من العدو، ويتهكم به على الرغم من إقراره بشجاعته مع التَّأكيد بأنه سيلوذ بالفرار، وسوح الوغى شاهدة على ذلك.

وتأتي كم المضافة إلى لفظ (وقفة) للعدد؛ لتكون وقفات الآخر المحارب متعددة تشع بالغلبة دائمًا مثل جوده وكرمه على من يواليه، ثم يبتكر صورة شعريَّة متقنة فيها جدة مليئة بالإيحاءات والاستعارة، و(الطير من ثقة يأكل مشبع)؛ فهي تدل على إلفة الطير بالآخر/ المحارب، وعملها بشجاعته مشبهًا إياه مع جنوده بالسباع المنتصرة على فرائسها وأعدائها بصورة مستقاة بالاستعارة من الطبيعة الحية.

ويرسم الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي صورًا للآخر/ المحارب

بالصفتين الجمعية والفردية تليق بالشدة والبأس، والإقدام في الحرب التي تحقق فيها النصر على العدو؛

إذ يقول[1]: (بحر الوافر)

1- وَما سألوكَ عَقْد الصُلح ودًا ولَكنْ خوفَ مُعْلِمةٍ رَداحِ [2]

2- مَلأْتَ بِلادَهم سَهْلًا وحَزْنًا أسَودًا تَحتَ غاباتِ الرّماحِ

3- عَلى مُعْتادةٍ جَوْبَ المَوامي [3] دَواح بِالملا بِيض الأَدَاحي [4]

4- فَحلّوا أرْض نَابُلسٍ [5] وفِيها نَواحٍ لَيسَ تَخْلو مِنْ نَواحِ

5- فَكانوا هَوّلوا بِالحشْد جَهْلًا وَما تَخْشى الأسُود مِنْ النّباحِ

6- وَهُم في قولِهم أنّا نُلاقي صَلاحَ الدِّين أكْذبُ مِنْ سَجَاحِ [6]

يخاطب الشَّاعر الآخر/ المحارب موظفًا النفي بـ (ما) ما سألوك؛ إذ إن الصلح الذي أراد الآخر/ العدو إنجازه، وعقده ليس حبًا وودًا، وركونًا إلى السِّلم، وإنما جاء خوفًا ورهبة؛ لمَّا عاينوا بلاءك من جانب، والصلح لا يتوافق مع مبادئ الآخر/ العدو من جانب آخر؛ لأنه غادر متخلٍ عن الحق، والعدل والعزة التي لا نجدها في سلوكياته.

وينقل صورة الآخر/المحارب ببنية شعريَّة، واقعيَّة متحركة بالصفة

(1) الديوان: 66.

(2) رداح: الأمور العظيمة، ينظر: لسان العرب: 447/2.

(3) الموامي: المومأة المغارة الواسعة الملساء، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا انيس، ينظر: لسان العرب: 566/12.

(4) الاداحي: وهي المواضع التي تبيض فيها النعامة وتفرخ، ينظر: لسان العرب: 252/14.

(5) نابلس: مدينة بأرض فلسطين بين جبلين، ينظر: معجم البلدان: 248/5.

(6) سجاج: سجاج بنت الحارث بن سوير بن عقفان التميمية من بني يربوع، متنبئة مشهورة (ت نحو 55ه) كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار، رفيعة الشأن في قومها، نبغت في عهد الرواة، ادعت النبوة بعد عهد النبي (ﷺ) أخذت علمها من النصارى، ينظر: الأعلام: 78/3.

الجمعيَّة فيها إعمام موضوعي، وانتشار مكاني؛ ملأت بلاد الآخر/ العدو سهلًا، وجبلًا برجالٍ شجعان شبههم بالأسود بقوتهم وصولاتهم، وانقضاضهم على فرائسهم تعلوهم الرماح التي هي "محدد بأكثرها دلالة على الشجاعة والبطولة، فقد كان العربي يزهو بما أعده للحرب من أنواع سلاح "[1]؛ فالآخر/ المحارب معتاد على التَّحرك، وقطع الأراضي الواسعة بجحافلة؛ لأنها حصيلة تجارب سنين من خوض المعارك التي اعتادها، وألفها على "خيلٍ شديدة مصونة بهم كما يصان البَيْض في أداحيه/ مواضعه....لشجاعة فرسانها الأسود الذين تعلوهم رماحهم غابات "[2] على أرض واسعة ممتدة لا وجود فيها للماء، وخالية من مقومات الحياة؛ فكان العدو في أرض نابلس، ونواحيها يعتريه الخزي، ويلاحقه والعار، وتنتظره الهزيمة، ولا تخلو نواحيه من البكاء والعويل.

وأما الآخر/ المحارب بالصفة الفردية فعبر عنه بالضمير (الكاف)(سألوك- ملأت) إشارة إلى الموقف البطولي الذي أنجزه المحارب صلاح الدين الأيوبي، وفاعليته في إدارة المعركة وامتلاك والنصر، ولم يمنعه أن هولوا بحشدهم، وكثرتهم التي لم تغنهم سفهًا، وكذبًا بالفعل الناقص (كان)؛ لأن حديثهم كذب وافتراء إلَّا أن الأسود لا يهمها أو يثنيها عن عزيمتها نباح الكلاب عن المواجهة: (استعارة مكنية عن العدو) تحوي صورة سمعيَّة تؤشر سلبية في الآخر العدو؛ إذ إن؛ "صورة الآخر تتكون وتتبلور من خلال التَّفاعل الاجتماعي وليس الفردي؛ فالأفراد يمكن أن يتفاعلوا ويتأثروا بثقافة الآخر، ويمكن أن يحدث تغيير في قيمتهم ومعاييرهم "[3]، وشّكل الجناس التَّام بين اللفظتين (نواح- نواح) نغمًا موسيقيًا في النَّص مع اختلاف دلالي يستشف من السياق الحربي للنص:

(1) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام: 271.

(2) شعراء عراقيون في العصر الوسيط (قراءات نقدية في الصورة والمشهد):37.

(3) صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م : 725.

اللفظ الأول: يدل على نواحي المدينة وأماكنها قرب نابلس.

اللفظ الثاني: يصور البكاء الصِّريخ، والعويل لأهالي المقتولين، وذويهم الذين ألفوا شجاعة الآخر/ المحارب وإقدامه.

إذ يتأثر الشَّاعر بمدركات الواقع اليومي للمعارك ويتفاعل معها، ويؤكد في (البيت الأخير) أن القول بالقدرة على ملاقاة صلاح الدين الأيوبي وجنده ومقاتلتهم؛ فهم فيه أكذب من سجاج التي إدعت النبوة كذبًا وافتراءً. وهي سلبية واقعيَّة ألحقت بسلبية تراثية ترسيخًا للمعنى.

وعبر الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي عن علاقة وجودية بينه وبين الآخر/ المحارب بالتَّوافقات والتَّلازم؛ فجاءت النصوص الشِّعريَّة تحمل دلالة الشجاعة، والمروءة التي أتت بأسلوب الجمع؛ لأن هذه الصفات اعتز بها وأكدها فيه؛ ولأن الكرم والمروءة تكتمل بهما شخصية الآخر/ المحارب وهي صفات جمعيَّة؛ الآمر الذي أوجب العناية بهما شعرًا ؛ إذ يقول[1]: (بحر الكامل)

1- لَا يَبخلونَ بِزادِهم عَن سائلٍ عَدَل الزَّمانُ عَليهمُ أوْ جَارا

2- وَإذا الصّريخُ دَعَاهُمُ لمُلِمَّة بَذَلُوا النُفّوسَ وفَارقُوا الأعمارا

3- وَإذا زِنادَ الحَربِ أَخمدَ نَارَهَا قَدَحُوا بأطْراف الأَسنُّةِ نَارا

4- فَمنِ اسْتَغاثَهمُ اسْتغاثَ وَمَنِ اسْتَماحَهمُ اسْتماحَ بِحارا

تكتمل صورة الآخر/ المحارب بالصفة الجمعيَّة بنفي البخل عنه؛ لأن البخل دالٌ عن الجبن، وهو صفة مذمومة تقلل من حظوة صاحبها عند الشعراء وغيرهم، وأما أسلوب الجمع فقد جاء نسقًا شعريًّا متداولًا؛ لأن قوم الآخر/ المحارب يأنفون من البخل، ويفخرون بالكرم والشجاعة، والشَّاعر يحاول إبراز أفضل السمات جودًا وبأسًا؛ فالصورة مترابطة متساوية بينهم فهم لا يبخلون بزادهم عن السائل (المحتاج)، ولا يبخلون بأنفسهم عند

(1) الديوان: 164.

الصَّريخ للمستغيث الخائف.

وأما لفظتا التَّضاد (عدل- جار) فقد كانت الغاية منهما تعظيم شأن الآخر/ المحارب؛ لما له من قدرة على بذل المال، والفداء بالنفس غير مبالٍ بما يحدث، بوصفه ذا حكمة، ومروءته خُصَّ بهما دون غيره؛ إذ يقرُّ الشَّاعر في الآخر/ المحارب أجل الخصال الحميدة التي أجملها بالصور، والمعاني والألفاظ؛ فإذا دعاهم الصريخ أتوه بكل قوة ونشاط؛ لكشف المصائب، وإزالتها في الملمات الصعبة؛ إذ يفتدي الآخر الرعية بحياته، وهم قوم اتصفوا ببذل الغالي، والنفيس عزة وكرامة، ويتقدمهم الآخر/ المحارب في أعلى سلالم المجد؛ إذ "أخذت الذات العربية تزهو بتفوقها على غيرها من الأجناس "[1] في الدفاع عن الأرض، وصد العدوان؛ لذا يعلن الشَّاعر تفوقها على عدوٍّ لم يمتلك مقومات الإنسانية مع التَّمادي، والطغيان؛ "فكان كل واحد منهم يحبذ أن يكون هو السباق شجاعة، لأنه موقن شرف أهدافه النبيلة، فنفسه فرحة حين توسم بوسام الشرف دفاعًا عن القيم والمبادئ... فالخوف من الموت لم يكن ثوب الأبطال المدافعين عن مبادئهم المتجسدة بشخصية قائدهم "[2]؛ لأن بذل النفس أرقى منازل البذل، فضلًا عن إعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف والمستغيث.

وفي النَّص بيان أن شخصية الآخر/ المحارب تقترب من الكمال، "وكان حديثهم عنها بهذه الأوصاف في أغراض شتى؛ ففي مجال الإعجاب بالنفس تحدثوا عنها بأنهم أهلها، ذوو الشجاعة والقوة.... يقابلون شدائدها بقلب ثابت، وصدر رحب، ويخرجون منها ضاحكة ثغورهم، وأنهم هم الذين يهيجون نارها ويوسعون خطرها، ويرمون بشرّها كلّ من عاداهم... وفي مجال التَّعبير والذم رموا الأعداء بأنهم ليسوا من أهلها، ولا خبرة لهم بها،

(1) صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي : 38.

(2) البطل في شعر الحروب الصليبية: 71.

ولا يصبرون على شدائدها وقوتها "[1] مع الإقرار بقوته في مواضع كثيرة.

وفي(البيت الثالث) يبين إصرار الآخر/ المحارب، واقدامه بصورة تشبيهية بليغة ولغة شعريَّة تصرح بعظيم المصاب الذي لحق بالآخر/العدو؛ بجعل نار الحرب لا تنطفئ وإن أخمدت توقد بقداح الأسنة، وأما في (البيت الرابع) فوظف التَّشبيه في وصف الآخر/ المحارب بالجمع فمن يستغيثهم يستغيث أسدًا (ضراغمًا) في الانقضاض على العدو وافتراسه، وأما كرمهم فيشبه البحر دلالة على السخاء، واتساع العطاء على الموالين والاتباع، ولعلّ اعتماد الجمع في تصوير حركة الآخر فيه دلالة على أن المحاربين لهم صفات القادة، وهم من يحققون النصر على الآخر/ العدو.

وبرزت صورة الآخر/ العدو/ المحارب – بالصفة الجمعيَّة– في شعر ابن الدهان الموصلي بشكل واضح؛ فصوره بتعيين جنسه مستعرضًا أوصافه وسلوكياته من مكرٍ وخديعة في غاراته؛ إذ يقول[2]: (بحر البسيط)

1–بَني الأُصَيفِر مَا نِلْتُم بمكْرِكُمُ والمَكْرُ فِي كُلِّ إنسان أَخو الفَشَلِ

2– وَما رَجعتُم بأَسرى خابَ سَعْيُكَمُ غَيرَ الأَصَاغِرِ والأَتبَاعِ والسَّفَلِ

3– سلَبتُمُ الجُردَ [3] مُعراةً بِلا لُجُمٍ والسُمْرَ مركُوزةً[4]والبيضَ في الخِلَلِ[5]

4– هل آخذ الخَيلَ قَد أَرْدى فَوارِسَها مثَالُ آخِذِها فِي الشّكلِ والطِّوَلِ

5– أَمْ سَالِبُ الرُّمحِ مَركوزًا كَسالِبه والحربُ دائرةٌ مِن كفِّ مُعْتَقِلِ

(1) شعر الحرب في العصر الجاهلي: 74–75

(2) الديوان : 72–73.

(3) الجرد: الفرس المريضة، والجرد موض في مؤخرة الفرس يعظم حتى يمنعه من المشي والسعي، ينظر: لسان العرب: 119/3.

(4) مركوزة: مركوز في الأرض أي ثابت ، ينظر: لسان العرب: 356/5.

(5) الخلل: العيون التي تلبس ظهور السبتين اطراف القوس، ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(ت395ه)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان ، (د. ط)، 1399ه–1979م : 125/2.

6- جيَشْ أصابتهُمُ عينُ الكمالِ وما يخْلــو مــن العــيْنِ إلِّــا غيــرُ مكْتَمِــلِ

7- لهم بيومِ حُنَــيْنٍ أســوةٌ وَهُــمَ خَيْــرُ الأنَــام وفــيهم خــاتمُ الرُّسُــلِ

عيّن الشَّاعر الآخــر/العــدو (بنــي الأصُــيفر)/ الــروم موظفًــا الخطــاب المباشر (ما نلتم)؛ لأنهم لم ينالوا من مكرهم إلَّــا الخديعــة، وتجــر هــذه الصــفات صاحبها إلى الفشل، فــ "للآخر تجليات عديــدة... قــد أســهم فــي هــذا الحضــور الكثيف عدة عوامل؛.... منها اتساع ثقافتــه، ومعاصــرته للصــراع المحتــدم بــين العرب والــروم "[1]؛ فالشــجاعة تمثّــل بالإقــدام جهــارًا نهــارًا ولــيس بــالمكر والخديعة؛ إذ أراد الشَّاعر أن يثنــي علــى الآخــر/ المحــارب ويقلــل مــن شــأن الهزيمة التي لحقت بجيشه؛ لأن الآخر / العــدو لــم يحصــل مــن المعركــة التــي خاضها بالسلب إلَّا الأسرى من صغار العمــر، والاتبــاع والحاشــية، وهــو لــيس مدعاة للفخــر؛ إذ لا يُتغنــى إلَّــا بأســر الســادة الشــجعان والملــوك والأبطــال، والمحارب الشجاع يهنأ بالنصر وجهًا لوجه، وليس خلسة أو مكرًا.

وقصد الشَّاعر أن يهدّئ من روع جــيش الآخــر/ المحــارب "تــور الــدين محمود زنكي" [□] على ما تلقاه من آثار الهزيمة؛ فكل مــا اســتطاع العــدو ســلبه تمثل شعرًا بالخيول المريضة (الجرد) التي لا تحمــل اللجــام؛ فهــي ليســت خيــول الحرب في الأصل، ولم تستطع الجري والحركــة، فضــلًا عــن الرمــاح المركــوزة في الأرض، والسيوف المعلقة علــى الخلــل، وهــي صــور بصــرية تنبثــق مــن الواقع نسجها الشَّــاعر فــي مخيلتــه، وإدراكــه البصــري بلغــة شــعريَّة تــوحي

(1) صورة الآخر في الشعر العربي: 79.

(2) محمود بن زنكي، عماد الدين ابن اقسنقر، أبو القاسم، نورالدين، الملقب بالملك العادل (ت569ه)، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو اعدل ملوك زمانه وأجلهم وافضلهم، كان من المماليك جده من موالي السلجوقيين ولد في حلب، وانتقلت إليه امارتها بعد وفاة ابيه. امتدت سلطته وشملت سوريا الشرقية والغربية موصل ديار بكر الجزيرة وبلاد المغرب واليمن كان معتنيا بمصالح رعيته، مداومًا للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقًا في حروبه مع الصليبيين، ينظر: الأعلام: 170/7.

بالمصاب الجلل الذي حلّ في لحظة سكينته غدرًا ومكرًا، وكانت الأبيات الشِّعريَّة "ذات أثر بالغ في تسكين القوم وتهدئة ثائرتهم، فبعقله الكبير، وعاطفته الصادقة الخالصة، كانت كلماته الحكيمة الصائبة تنزل على القلوب بردًا وسلامًا، فيهدأ الغضب وتتلاشى الثورة... تطفئ اللهب المتأجج، وتثلج القلوب والصدور "[1]، ووظف أسلوب الاستفهام (هل آخذ الخيل)؛ ليستميل المتلقي إلى رؤيته في الواقعة، ويشدَ من أزر الآخر/ المحارب الذي لقي الغدر، والخيانة مستفهمًا هل أخذت الخيل وقتل فوارسها أم أخذت من دون فارس، ولا لجام ولا سلاح، أم سلب الرمح مركوزًا أو متخفيًا في الأرض خوفًا ورهبةً من الآخر/ المحارب.

وكثف الشَّاعر في نقل الصور الشِّعريَّة متلاحقة، لتمكينها في ذهن المتلقي لإشراكه مع مكنونات نفسه، ويتفاعل مع الواقع منفعلًا به، مركزًا على جيش الآخر/المحارب بصفته الجمعية وقد أصابته عين الكمال، لأن العين لا تصيب إلَّا المكتمل الخالي من النقص الذي وافق إعجابها.

والآخر "يظهر في صورة العدو الذي يحاول رفض الطرف الآخر والانقضاض منه والنيل من معتقداته وقيمه وتهديد وجوده واستهداف ثقافته... ويتجلى الآخر في صورة سلبية كالصورة التي رسمها الشعراء للأعُداء الأجانب أو المحتلين "[2] ممن غدروا بالآخر/ المحارب وجيشه في هذه الموقعة وغيرها؛ فحاول الشَّاعر رأب الصدع، وجلب المشاعر وترويضها بالتَّأسي بالرسول محمد (ﷺ) في موقعة حنين عندما بعث لهم الله جنودًا لم يروها وانتصر على الكافرين والاستدلال بالحدث العظيم لأفضل خلق الله تعالى؛ فهي علاقة مشابهة شعريَّة بين جيشين متفاوتين بالمدة الزمنية والمقام.

---

(1) شعر الحرب في العصر الجاهلي: 69.

(2) صورة الآخر في الشعر العربي، د. فوزي عيسى، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود، الكويت،(طبعة خاصة)، 2011م: 11.

ويتجلى توافق الشَّاعر مع الآخر/ المحارب الممدوح مسترسلًا في استنهاض عزائمه، وروح الحماس فيه بالصفة الجمعيَّة بتصوير الأسلحة موظفًا النَّص القرآني في دعم الرؤية الشِّعريَّة؛ إذ يقول[1]:(بحر البسيط)

1-سَيَقْتَضِيكمْ بِضربٍ عند أهْوِنِه البيضُ كالبَيْضِ والأَدْراع كالحُلَلِ

2- مَلْكٌ بعيدٌ من الأَدناس ذو كَلَفٍ بِالصِّدق في القَول والإخلاص في

3- فالسّمْر ما أصبحت والشّمسُ ما والسيفُ ما فُلّ وَالأطواد لم تَزُلِ

4- كم قد تجلَّتْ بنورِ الدِّينِ مِن ظُلَمٍ[2] للظُلم وانجابَ للاضْلالِ من ظُلَلِ

يوثق الشَّاعر الصراع الدائر بين طرفين متحاربين توثيقا شعريًا بصورٍ بصرية منوّها بقدرة الآخر/ المحارب، ومشيدًا بشجاعته وشدة بلائه؛ فبدأ النَّص بـ(السين) دالًا على المستقبل في (سيقتضيكم) متفاعلًا مع الزمن مستشرفًا النصر برؤية شعريَّة حاضرة؛ لأن الزمن الماضي شهد (الغدر والسلب) من الآخر/ العدو، وانتهى بالعبرة واستجماع القوة، وأتى زمن الضرب بالبيض (السيوف) التي تتكسر، والجماجم التي تتحطم (كالبَيض) من شدة البأس، والسطوة فلشدة ما يلاقي العدو من طعنات تصبح دروعه مصطبغة بالدماء كالحلل الملونة التي نقشّت بالأحمر/ لون الدم، والآخر/ المحارب ملك بعيد عمًا خبث من الأفعال، وقبح صفتها؛ بيضاء نقي السريرة صاحب عهد كَلف بالأمور الصعبة صادق، وأعماله خالصة لا يخالطها الرياء والكبر والكذب.

وتستنهض الصورة الشِّعريَّة الآخر/ المحارب بالصفة الجمعيَّة، وتظهر الإعجاب بسلوكه مستلهمًا الشَّاعر "أعذب المعاني، فينطلق لسانه مصورًا ما يجيش بصدره من عواطف وانفعالات؛ فيتغنى بذلك النصر، ويرسله مع النسيم عطرًا شذيًّا...، ويسجل على صفحات التَّاريخ ما ناله

(1) الديوان: 74.

(2) أفل: غاب، ينظر: لسان العرب: 11/ 18.

القوم من مجـد؛ فيعطـر الأرجـاء، ويسـر القلـوب ويقـر العيـون "[1] برؤيـة موضوعيَّة ظاهرة.

وأما في (البيـت الثالـث) فقـد اسـتعار لفـظ السُّـمر (الرمـاح) لليـل، واقترنت بدلالة الزمن في (أصبحت)، وتشـبيهها بكثرتهـا بالليـل؛ لأنهـا حجبـت ضياء الشمس، فلن يشغل الآخر/ المحارب أي شـيء عـن الحـرب لا الليـل، ولا النهار مستوحيًا صورًا شعريَّة بلفـظ (السّـمر- السـيف)؛ لطـرد الآخـر/ العـدو وصد عدوانه الذي سلبه راحته، وكلّل الظلم في دياره وإلحاق الهزيمة به.

وعبرت (كم) بجلاء عن الظلم والضلال، الذي جلّاه وجود الآخر/المحارب نور الدين محمود زنكي وأبعده مع جيشه العائد من الهزيمة بعزيمة عالية و "أخذت صورة (الروم) تبرز في الشعر العربي... وانعكس ذلك على الشعر فصور المعارك وهزائم الروم وجبن قوادهم وجنودهم"[2] بفعل ضربات الآخر/ المحارب.

الخاتمة:

حضرت الطبيعة الحية والصامتة في بناء صورة الآخر المحارب، وكان الهدف التعبير بها عن الواقع بصور متخيلة انطلقت من الواقع الحربي، وحلَّقت بآفاق شعريَّة بعيدة يدرك جمالها المتلقي، وارتبطت الصورة بذكر الطبيعة وموجوداتها تحقيقاً للقيمة الشِّعريَّة، واستنهاضًا للعزيمة في دفع الآخر المحارب إلى ساحات القتال.

-اتسمت علاقة الأنا الشِّعريَّة مع الآخر المحارب بالإيجاب، ولائتلاف من جهة الآخر المحارب الذي جاء بالصفتين الفردية والجماعية، والسلب والاختلاف من جهة الآخر العدو الذي تحقق وروده في تجربة ابن الدهان بالجنس العرق روم بني الأصفر.... بالصفة الجماعية بضمائر الجمع في مظان السرد والتصور.

-وظف الشَّاعر ابن الدَّهان الموصلي لغة شعريَّة مفعمة بالمشاعر، والأحاسيس مشيدًا بالانتصارات المتحققة.

---

(1) شعر الحرب في العصر الجاهلي: 223.

(2) صورة الآخر في الشعر العربي (طبعة خاصة): 5-6.

-أكثر الشاعر من توظيف التضاد بأشكاله المتعددة لإجلاء قيمة الآخر السلبية والإيجابية وترسيخها بضدها بثنائية القوة والانكسار والنصر والهزيمة.

- كانت شخصية الآخر الأبرز في تجربته هي شخصية الناصر صلاح الدين الايوبي مشيدًا بكرمه وشجاعته ودفعه الخطر وردِّه ، وقد رسم له صورًا متعددة من حماية الديار، وزعزعت الآخر العدو وإخافته ودفع خطره.

References IN English

1. **A -ve Discourse he NarratiAnalysis of t** ,Malik Murtad-Abd al **-Complex Semiotic Deconstruction Treatment of the Novel (Al** .University Press, Algeria, 1995, p. 127 , **(Madaq Alley**
2. **Dictionary of Contemporary Arabic** ,ar OmarAhmed Mukht on, 2008, p. Egypt, 1st editi -Kutub, Cairo -Dar Alam Al , **Language** 16022.
3. **ation / A The Philosophy of Alien ,** Youssef-Ali Muhammad al The , **Systematic Critical Reading in the Philosophy of Alienation** Arab House for Encyclopedias. Beirut. Lebanon, 1st edition, 2013, .p. 9
4. **alim Farjieh, Alienation in the Literature of H** Bassam Khalil Six Days Novel, Fosoul Magazine, No. 1, Volume 4, , **Barakat** . 209 .Cairo, 1983, p
5. Ikhtif -Difaf Publications, Beirut, Al-Al , **Rawaya** -Burhan Shawi Al .19-Publications, Algeria, 1st edition, 2016, pp. 17
6. g and Dar Baghdadi for Printin , **Rawaya-Al** Shawi Burhan .Iraq, 1st edition, 2020, p. 120-Publishing, Baghdad
7. **Text, Power and Society / Political Values** ,Ammar Ali Hassan .Dr and Dar Sharqiyyat for Publishing , **in the Arabic Novel** .Distribution, Cairo, 1st edition, 2007, p. 55
8. , **y of the Novel and the Arabic Novelhe TheorT ,** Faisal Darraj .Dr Azna for Publishing and Distribution, Amman, 2nd edition, 2018, .p. 10, 14

9. **the Personality in the Literature of Jabra** ,Fatima Badr .Dr General House of Cultural Affairs, **Ibrahim Jabra, the Novelist** .20-15 .n, 2012, ppeditio Iraq, 1st -Baghdad
10. **Alienation in Arab Culture / Human ,** Dr. Halim Barakat Center for Arab Unity , **Labyrinths between Dream and Reality** .38-n, 1st Edition, 2006, pp. 35Lebano -Studies, Beirut
11. **ction development / An IntroduSocial Under ,**Hegazy Mustafa .Dr Arab Cultural Center, , **to the Psychology of the Oppressed Man** . p. 199 ,Morocco, 9th edition, 2005 -Casablanca
12. **A Study of -in Generative Structuralism** Dr.. Jamal Shaheed Takwin, 1st edition, 2013, p. -Dar Al , **Lucien Goldman's Approach** .55
13. **Perceptual perception of Ibn** ammad Othman NecatiDr.. Muh University Publications, , **Psychology Research in Arab / Sina** .Algeria, 3rd edition, 2005, p. 131
14. Dar , **Dayah, Aesthetic Consciousness in Storytelling-** Alia Al..Dr Syria, 1st -attakiaL ,Hiwar for Publishing and Distribution-Al .Edition, 2012, p.9
15. **The Art of the Arabic Novel / Between the ,** Eid-Yumna Al.Dr -Dar Al , **ion of Discoursethe Distinct Specificity of the Story and** .27-Lebanon, 1st edition, 1998, pp. 26 -Adab, Beirut
16. **his hero / approaching the the novelist and ,** George Tarabishi banon, 1st Le -Adab, Beirut -Dar Al **unconscious in the novel** .edition, 1995, p.8
17. **The Problematic Personality / ,** Badrani-Wahhab al-Hamid Abd al **Cultural Approach in the Discourse of Ahlam -A Socio** Majdalawi for Publishing and the Novelist, Dar , **Mosteghanemi** .t edition, 2013, p. 13ribution, 1sDist

-The Structure of the Narrative Form / Space ,Hassan Bahrawy Morocco, - Cultural Center, CasablancaArab **Personality -Time** .nd edition, 2009, p. 2092

18. **of Criticism and Criticism Philosophy** ,Hassan Hanafi and others ,Arab Unity Studies , **of Philosophy in Arab and Western Thought** .56-Lebanon, 1st edition, 2005, pp. 55 -Beirut
19. **The Maghreb Novel/ Historical Dialectic and** ,Ibrahim Abbas or Publications of the National Institute f , **Living Reality** .Communication and Publicity, 2002, p. 65
20. **The Stream of Consciousness in the** Mahmoud Ghanayem Jil, Beirut, Dar -Dar Al , **istic StudyModern Arabic Novel / A Styl** .Huda, Cairo, 2nd edition, 1993, p. 140-Al
21. d by: Youssef etranslat , **The Word in the Novel** , Michael Bakhtin Syria, -Hallaq, Publications of the Ministry of Culture, Damascus .p. 110 ,1988
22. **Philosophical -History of Consciousness ,** Monis Bou Khadra , **Approaches to the Dialectic of Raising Awareness of Reality** n, Arab House of med Bin Rashid Al Maktoum FoundatioMoham Ikhtif Publications, -Lebanon, Al -Science Publishers, Beirut .st Edition, 2013, p.171 ,Algeria
23. **the awareness of the novelist world / ,** Muhammad Azzam Publications of the Arab Writers , **studies in the Moroccan novel** .Union, 1990, p. 196
24. **Structural Criticism and the Narrative Text ,**Sowerti hammadMu .East Africa House, 2nd edition, 1990, p. 70 ,
25. Treasures of , **of Alienation at Karl Marx** Naima, The Wall Foundation for Publishing and Distribution, Algeria, 1st Wisdom .edition, 2013, p. 47
26. **ary Arabic The Novel and Ideology in Contempor ,** Alloush Saeed Lebanon, 2nd Edition, 2009, p. -Beirut Manhal-Dar Al , **Literature** .107

The Other as a Warrior in the Poetry of Ibn al-Dahan al-Mosli (D 581A.H.)

Ajil Mad Allah Ahmad *

Miqdad Khalil Qassem **

Abstract

The research addresses "the other" as a warrior in the poetry of Ibn al-Dahan al-Moslli. His images have varied and overlapped in an era of political turmoil and successive wars that he has written down in his poetry. The warrior's image was a live transmitter of the war reality with poetic structures dominated by visual and auditory sensitive realities.

The research consists of two requirements; The first is "the other", an individual warrior (heroism and influence of opinion), in which he mentions the exploits of individual warfare courage such as relief and crackdown on "the other", which is the enemy.

Key words: Poetry, other warrior, force, defeat, warfare image, crusader enemy**.**

* **Master's Student/Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Mosul.**

** **Prof /Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Mosul.**